النمو الروحي

بقلم

د. فرنسيس فخري

أنور داود

٢٠١٣

اسم المصنف: النمو الروحي

تاليف : د. فرنسيس فخري - أنور داود

إخراج فني : صفوت نظير

تصميم الغلاف: مورننج ستار

يطلب من مكتبة الإخوة :

٣ ش أنجه هانم – شبرا مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤

وفروعها:

مصر الجديدة : ٦٥ ش نخلة المطيعي – تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية : ٦ ش الفسطاط كيلوباترة ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيا : ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦

أسيوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

Printed in Egypt

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي

طبعة أولى

مقدمة

يظن الكثيرون أنه بإيمانهم بالمسيح يسوع وقبولهم له مُخلِّصًا شخصيًا واستنادهم على موته الكفَّاري، وتمتعهم بما يتبع ذلك من بركة النجاة من الدينونة ونوال الحياة الأبدية إلى ما غير ذلك من بركات وامتيازات الإيمان العظمى والثمينة من فداء وتقديس وتبرير وغيرها، أن هذا كل شيء، ولكن الحقيقة هي أن الإيمان الحقيقي هو نقطة البداية في الحياة المسيحية، حياة المعرفة والنمو الروحي والتغيير الإيجابي المستمر، حياة الشهادة لمجد الله من خلال الثبات في الرب والسلوك المسيحى الحقيقي، حياة النضوج والإثمار، إلى أن يصبح المؤمن مُشابهًا صورة المسيح.

المحتويات

الفصل	الموضوع	الصفحة
الأول	التغيير والنمو الروحي	٧
الثاني	النمو الروحي	١٥
الثالث	السلوك	٥٧
الرابع	الثبات	٦٧
الخامس	النضوج الروحي	٧٧
السادس	الثمر	٩١

الفصل الأول

التغيير والنمو الروحي

«والبذار يطلع وينمو ... أولاً نباتًا، ثم سنبلاً،

ثم قمحًا ملآن في السُّنبُل»

(مر٤: ٢٧ و٢٨)

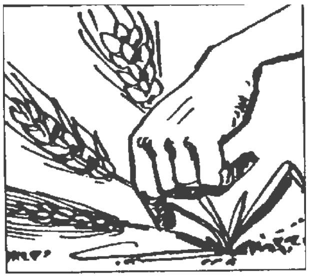

النمو الروحي

والتغيير في حياة المؤمن لا ينفصلان عن بعضهما البعض، وبقدر ما يحدث من نمو روحي في المؤمن، يحدث التغيير بالقدر نفسه، فالتغيير هو مظهر خارجي لنمو روحي يحدث في كيان المؤمن الداخلي ويقود إلى التغيير الإيجابي في حياة المؤمن شكلاً وثباتًا فسلوكًا ونضوجًا ثم إثمارًا، فينتج في الخارج مظاهر جديدة، أصلها كان موجودا في صورة مختزلة جدًا، غير محسوسة أو غير مرئية، ثم مع بداية واستمرار النمو، بدأت تظهر وتكبُر شيئًا فشيئًا.

والبذار يطلع من تحت سطح التربة في صورة نبتة صغيرة جدًا، تحوي أصل كل أعضاء وأجزاء النبات من سيقان وأفرع وأوراق وأزهار وثمار، وإذا أخذت البذرة مجراها الطبيعي في النمو تبدأ هذه الأجزاء في الظهور شيئًا فشيئًا، وتكبر وتنمو، ونتيجة لهذا النمو يُلاحظ التغيير مُتمثلاً في ظهور أوراق وفروع جديدة ثم أزهار ثم ثمار، والإنسان في نموه الجسدي أيضًا جنينًا، فرضيعًا، فطفلاً، فصبيًا، أو فتىً، ثم شابًا يافعًا، ثم رجلاً ناضجًا، فشيخًا وقورًا، وهكذا «أم ليست الطبيعة نفسها تُعلِّمكم؟» (١كو١١:١٤).

التغيير:

ولكي ينمو المؤمن فلا بد من نقطة بداية، وهي ما يُطلق عليها جوازًا التغيير، ويتميَّز الإنسان كمخلوق أنه قابل للتغيير في طباعه وفي عاداته وفي سلوكياته. ولكن لأن الإنسان مولود بالخطية «هأنذا بالإثم صُوِّرت، وبالخطية حبلت بي أمِّي»، و«من البطن سُمِّيتَ عاصيًا»، و«كجَحْشِ الفرَا يُولدُ الإنسان» (مز٥١: ٥؛ إش٤٨: ٨؛

أي١١:١٢)، فهو لا يستطيع أن يتغيَّر إلى الأفضل لأن النبع فاسد، حتى لو كانت هذه رغبته، والكثير من الناس يشتاق ويتوق في داخله لأن يتغيَّر إلى الأفضل، فيحاول أن يتحلَّى بالأخلاق الكريمة، وأن يكون محبوبًا لطيفًا، مرضيًا عليه من الله ومن الناس، يُسارع في فعل الخير ويبعد عن الشَّر .... إلخ، وفي سبيل ذلك اتجه الإنسان إلى مُمارسات عديدة ومختلفة مثل:

١- الأخلاقيات والتديُّن الظاهري:

وليس أدل على ذلك من الفريسيين (المتدينين) الذين لهم مظهر خارجي متديِّن لكن مُمارساتهم تُدينهم بشدة حتى أن الرب، الذي يعرف حالة القلب على حقيقته، وصفهم بقبور مبيضة تظهر من الخارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (مت٢٣: ٢٧) لقد بيَّضُوا القبور من الخارج وتجاهلوها من الداخل.

٢- الأوامر والنواهي:

محاولة تهذيب الإنسان عن طريق: افعل هذا ولا تفعل ذاك!، افعل الحسنة وامتنع عن السيئة، فهذه لها ثواب، وتلك لها عقاب، ولكن واضعو هذه الأوامر والنواهي، هم أنفسهم فشلوا فيها، بل كانوا أول مَنْ كسروها، وانطبق عليهم ما قاله الرب له المجد: «أيها الطبيب اشف نفسك!» (لو٤: ٢٣)، «فأنت إذًا الذي تُعلِّم غيرك، ألست تُعلِّم نفسك؟ الذي تكرز: أن لا يُسرَق، أتسرق؟» (رو٢: ٢١).

٣- القوانين الوضعية:

وهذه أيضًا لم تستطع أن تغيِّر الإنسان، بل إن معدل الجريمة في تزايد مستمر رغم كثرة القوانين وتشديد العقوبات.

٤- الاهتمام برفع المستوى التعليمي والثقافي:

وهذه أيضًا لم تجد نفعًا، فنقرأ كثيرًا عن أن مرتكبي الجرائم هم من ذوي المستويات التعليمية والمعيشية المرتفعة، ولقد ذكر المُبشِّر المشهور ''مودى'' أن اللص، الذي اعتاد أن يسرق ''صواميل'' عربات السكة الحديد، لو رفعت من مستواه التعليمي لكي لا يسرق فيما بعد، فإنه بعد أن يتخرج من الجامعة لن يسرق الصواميل، بل سيسرق القطار كله. فاللص عندما يزداد علمه، يُسخِّره لخدمة هدفه أي ''**السرقة**''. لقد تعلَّم موسى وتهذَّب بكل حكمة المصريين، فماذا فعلت له هذه الحكمة؟ جعلته يقتل!! (خر٢: ١٢).

٥- المُمارسات الدينية:

اختزلوا الحياة المسيحية إلى مجموعة من المُمارسات الكنسية والطقسية، بدون روح.

اختزلوا الحياة المسيحية إلى مجموعة من المُمارسات الكنسية والطقسية، بدون روح، فنادوا بأمور لم يتذوقوها وتعاليم لم يختبروها وصارت حياتهم عذابًا بين تدين ظاهري وخطايا خفية موجعة ومُهيِّجة للضمير. وكأنهم أرادوا أن يرجعوا بنا مرة أخرى إلى عهد الناموس «إن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها» (رو١٠: ٥)، والذي لم ينجح فيه أحد!! وبالطبع لم تستطع هذه المُمارسات جميعها أن تغيِّر الإنسان. ومهما حاول الإنسان الطبيعي أن يفعل «فهل يغيِّر الكوشي جلده أو النَّمر رُقَطَهُ؟» (إر١٣: ٢٣)، وكما قال الرب لنيقوديموس: «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روحٌ ... ينبغى أن تُولدوا من فوق» (يو٣:٦ و٧). لقد أنفقت المرأة

نازفة الدم كل معيشتها على الأطباء فصارت إلى حال أردأ إلى أن تقابلت مع السيِّد، هكذا الإنسان الطبيعى أيضًا (مر٥: ٢٥-٣٤).

ولا شك أن الإنسان عندما يحاول قد يتحسَّن بعض الشيء ولفترة محدودة، ثم لا يلبث أن يرجع إلى ما كان عليه بل وأسوأ، وذلك لفساد النبع، مثل «كلبٌ قد عاد إلى قيئه، وخنزيرة مغتسلةٌ إلى مراغة الحمأة» (٢بط٢:٢٢) نعم، و«هل يجتنون من الشوك عنبًا، أو من الحسك تينًا؟» (مت٧:١٦)؟! إن: ''الطبع يغلب التطبع''.

قد يستطيع الإنسان أن يظهر بصورة غير صورته الحقيقية، فينخدع الناس فيه ولكن إلى حين! ولكن هل ينجح الإنسان في خداع ذاك الذي كل شيء مكشوف وعريان قدامه؟؟ لقد فعلتها امرأة يربعام عندما طلب منها رجلها أن تتنكَّر، لكن الرب كشفها لأخيّا! «فقال يربعام لامرأته: قومي غيِّري شكلك حتى لا يعلموا أنك امرأة يربعام ... فلما سمع أخيَّا حِسَّ رجليها وهي داخلةٌ في الباب قال: ادخلي يا امرأة يربعام. لماذا تتنكرين وأنا مُرسَلٌ إليك بقول قاسٍ؟» (١مل١٤:٢ و٦)، وكم من أناس يغيِّرون أنفسهم شكليًا، لكن حقيقتهم معروفة أمام الله، وسينفضح أمرهم أمام الناس إن عاجلاً أو إن آجلاً.

وهنا يأتى السؤال:

ما هو السبيل إلى التغيير إذًا؟

بحسب كلمة الله هناك نوعان من التغيير يحدثان في الإنسان:

التغيير الأول، هو تغيُّر الإنسان من خاطئ إلى مؤمن، من هالك إلى مُخلَّص، من شرير أثيم مُنجَّس بالخطية إلى مُطهَّر بدم المسيح، ومن ميت بالذنوب والخطايا إلى حيٍّ - أحياه الله مع المسيح! - إنه

انتقال من الموت إلى الحياة. هذا التغيير يحدث مرة واحدة، بالإيمان القلبي بشخص المسيح وعمله. ونستطيع أن نقول إن هذا التغيير هو عملية خلق من جديد «إذًا إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ» (٢كو٥:١٧). وهذا التغيير يحدث عن طريق عمل تم بعيدًا عن الإنسان، وهو موت المسيح على الصليب نيابة عنه وحمله لخطاياه، **وبهذا** يرتبط الشخص بالمسيح، ويبدأ العلاقة الحقيقية الصحيحة مع الله، في حياة تتسم بالنمو الحقيقي والتغيير المستمر الذي لا ينتهي.

وعن هذا التغيير يقول الحكيم: «حكمة الإنسان تُنير وجههُ، وصلابة وجههِ تتغيَّر» (جا٨: ١)، وهنا يتكلَّم عن الإنسان الذي امتلك الحكمة السماوية؛ أي شخص المسيح نفسه، بالإيمان، فأصبح منيرًا «كنتم قبلاً ظُلمةً، وأمَّا الآن فنورٌ في الربِّ» (أف٥: ٨). وصلابة وجهه تتغيَّر، أي الطبيعة الجديدة التي لها أحشاء المسيح، استبدل القلب الحجر بقلب لحم (أي قلب جديد روحي). هكذا تغيَّر **زكا**، والرب بنفسه أعطى التقرير «اليوم حصل خلاصٌ لهذا البيت»، وبرهن زكا على هذا التغيير عمليا «ها أنا يا رب أُعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيتُ بأحدٍ أرُدُّ أربعة أضعافٍ» (لو١٩:٨ و٩)، **وشاول** تغيَّر وهو في طريقه إلى دمشق عندما تقابل معه الرب (أع٩: ١-٢٠)، **وسجَّان فيلبى** تغيَّر، لقد سأل: «ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» فجاءه الجواب: «آمنْ بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» والنتيجة: «تهلَّل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله» (أع١٦:٣٠ و٣١ و٣٤)، هؤلاء تغيَّروا فهل تغيَّرت أنت أيها القارئ العزيز؟

هكذا تغيَّر زكا .. وشاول تغيَّر .. وسجَّان فيلبي تغيَّر ..

هذا التغيير هو نقطة البداية لتغيير مستمر لا ينتهي أساسه النمو الروحي، تغيير في كل شيء، وفي كل اتجاه، بما يتفق مع الحياة الجديدة.

أيها القارئ العزيز...

هل تشتاق إلى تغيير حقيقي في حياتك؟ إذًا فعليك أن تبدأ البداية الصحيحة، أقصد الإيمان بالرب يسوع المسيح إيمانًا قلبيًا، فيهبك الله كل ما هو للحياة والتقوى، بذلك فقط تستطيع أن تخطو الخطوة التالية نحو تغيير شامل نتيجة نمو حقيقي.

الفصل الثاني

النمو الروحي

النمو الروحي

تعبير يشمل الحياة كلها؛ وهو دليل على الحياة الجديدة والولادة من الله، والعلاقة الصحيحة معه. ليس هو نموًا في المعرفة الكتابية فحسب، فإخوة كورنثوس كانوا أغنياء في المعرفة وفي كل علم وفي المواهب الروحية والمعجزية، ومع ذلك لم يستطع الرسول أن يكلِّمهم كروحيين، بل كجسديين كأطفال في المسيح. والنمو الروحي هو ازدياد وتعمق المعرفة والعلاقة والشركة مع الله والتزايد المستمر في الإهتمام بأمور الله، يصحبه التغيير في أوجه الحياة المسيحية المختلفة، ليُصبح الشخص أكثر شبها بالمسيح، حيث يتصورَّ المسيح فيه، وهذا بالتالي يقدِّم لنا شخصًا ناضجًا، مثمرًا ثمرًا مُتكاثرًا لمجد الله!!

عائلة الله:

وتتكون عائلة الله، كنيسة الله، أي «المؤمنون»، من فئاتٍ ثلاثٍ:

١- **الأولاد**: ''الأطفال أو الرضع'' وهم المولودون حديثًا. وهؤلاء عرفوا الآب. فأول كلمة ينطقها الطفل هي: ''بابا''، وأول ما يعرفه المؤمن ويتيقن منه هو أن الله أبوه، فالروح القدس يسكن في الشخص بمجرد أن يؤمن «إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدُّوس» (أف١:١٣)، وهو «روح التبنِّي الذي به نصرخ: يا أبَا الآب ... الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو٨:١٥ و١٦).

٢- **الأحداث**: وهؤلاء كلمة الله ثابتة فيهم، لذا فهم الأقوياء والغالبون (١يو٢: ١٣-١٥)،

٣- وأخيرًا **الآباء**: وهؤلاء عرفوا الذي من البدء، أي ابن الله من

بدء تجسده. لهم غرض واحد، هو معرفة المسيح «لأعرفــه، وقــوة قيامته، وشركة آلامه، مُتشبِّهًا بموته» (في٣: ١٠). ويا له من غرض راقٍ وسامٍ! والذي يُحدِّد فئات عائلة الله، ليس العمر، وإنما مقدار النمو والنضوج الروحي.

تحريضات على النمو :

يُحرِّض الكتاب المقدس على النمو، فيقول: «وكأطفــال مولــودين الآن، اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي **تنموا** به» (١بــط٢: ٢)، وأيضًا «ولكن **انموا** في النعمة وفي معرفة ربنــا ومُخلِّــصنا يــسوع المسيح» (٢بط٣: ١٨)، «**ابنوا** أحدكم الآخر» (١تس٥: ١١)، «**فابنوا** أنفسكم» (يه ٢٠). فيا لها تحريضات هادفة وجميلــة علــى النمــو المستمر في الحياة المسيحية العملية! وفي هذا الصدد يقول الرســول بولس: «أفعل شيئًا واحدًا: إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هــو قدَّام (حياة التقدُّم المُستمر)» (في٣: ١٤).

ويقدِّم لنا يهوذا في رسالته عددي ٢٠ و٢١ قاعدة رباعية الحلقــات لبنيان نفوسنا فنجد:

أولاً، **كلمة الله:** «وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمــانكم الأقدس»، ثانيًا، **الصلاة:** «مُصلِّين في الروح القدس»، ثالثًا، **المحبــة:** «واحفظوا أنفسكم في محبة الله»؛ المحبة الباذلة التي أُعلنت في صليب ربنا يسوع المسيح، فيمتلئ القلب فرحا وســلامًا واطمئنانــا، رابعًــا، **الرجاء:** «مُنتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية»، و«كــل مَنْ عنده هذا الرجاء به، يُطهِّر نفسه كما هو طاهرٌ» (١يو٣: ٣).

الهدف من النمو :

١- لنكون مثل المسيح:

«لنكون مُشابهين صورة ابنـــه» (رو٨: ٢٩)، «إلـــى أن يَتَـــصوَّر المسيح فيكم» (غل٤:١٩).

٢- لنشهد للمسيح:

فنحن مدعوون للشهادة «أنتم شهودي، يقول الرب» (إش ٤٣:١٠). والشهادة تحتاج إلى رجال بالغين، تدرَّبوا في حياة الإيمان وتدرجوا في النمو إلى أن صاروا رجالاً!! لقد فشل مؤمنو كورنثوس في هذا إذ كانوا جسديين، أطفالاً فـــي المـــسيح (١كو٣: ١)، بينما نجح فيه مؤمنو تسالونيكي، لأنهم كانوا مؤمنين نامين (١تس١:٧ و٨؛ ٢تس١: ٣).

٣- لنُعلِّم الآخرين:

لم يستطع المؤمنون من العبرانيين أن يُمارسوا هذا، واحتاجوا لمَنْ يُعلِّمهم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله رغم أنهم كان لهـــم زمـــانٌ طويلٌ في الايمان (عب٥: ١٢).

أساسيات لا بد منها لضمان النمو:

١- **توافر الرغبة** الصادقة المُخْلِصَة للنمو: **والشعور بالاحتياج** إلى النمو أكثر من الإهتمام بالراحة والنجاح والشهرة وجمع المال والثروة بل وحتى ضرورات الحياة. والرغبة في النمو يجب أن تكـــون ذات دوافع سامية ومقدَّسة. وبالإضافة إلى ما ذُكر سابقًا، فهنـــاك أيـــضًا إشباع قلب الله، وسرور وشبع قلب المؤمن، والاهتمام بقطيـــع الـــرب

وحاجاته، ولكن ليس للافتخار أو الشهرة أو إعجاب الآخرين، أو للحصول على مكاسب أو مركز ولو كان حتى مركزًا روحيًا بين الذين هم من حولي. فالفضل كله لله مصدر القوة والنعمة والحكمة.

٢- **الاستعداد للتضحية:** يجب أن يكون لدينا **الاستعداد** لأن نُضحِّي بكل ما من شأنه أن يعوق نمونا وتقدمنا الروحي، وكما قال الرب له المجد: «مَنْ أحب أبًا أو أمًا ... ابنًا أو ابنةً أكثر منى فلا يستحقني» وهذا يعنى أن يكون الرب أولاً. وقال الرب أيضًا: «ومَنْ لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» (مت١٠: ٣٧ و٣٨). و«يأخذ صليبه» تعني الذات ميِّتة «مع المسيح صُلبت»، و«صليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم»، و«الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل٢: ٢٠، ٥: ٢٤، ٦: ١٤).

٣- **الإقرار بأن فضل القوة لله:** مع أنني أشتاق وأرغب في النمو ومستعد للتضحية في سبيله، لكنني لا أستطيع ذلك بالاعتماد على قوَّتي الذاتية وإمكانياتي الشخصية بل بالاعتماد على قوة الله ونعمته، وكلمة نعمته القادرة أن تبنيني. فالأمر «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال ربُّ الجنود» (زك٤: ٦)، والرسول بولس يقول: «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا... بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠). ولقد شبَّه رجل الله ''صموئيل ريداوت'' هذا بالقطار حينما نركبه بالمحطة، فنحن لا نقدر أن نُحرِّكه، ولكن حين يأخذ السائق وضعه، ويُدير المُحرِّك، فحينئذ يبدأ القطار في التحرك إلى أن يأخذ سرعته المطلوبة دون عائق، وبالتأكيد ليست قوة ذراع القائد هي التي تفعل هذا، ولكن قوة مُحرِّك القطار الدافعة.

٤- **ترتيب الأولويات:** وذلك بتخصيص وقتًا مُعْتَبرًا لقراءة كلمة الله والصلاة. ولو استدعى الأمر الاستيقاظ مبكرًا في الصباح والاستغناء عن ساعة من نوم الصباح اللذيذ أو إلغاء بعض الأمور الأقل أهمية. فليس هناك نمو روحي إن أهملنا كلمة الله والصلاة.

٥- **تحديد الهدف:** من المهم أن يعرف المؤمن ماذا يريد بالضبط. كثيرون يريدون أن يمسكوا بالعصى من المنتصف. والحقيقة أننا إذا اتخذنا «الرب» هدفًا غاليًا لقلوبنا فإننا نكسب الكل «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرَّهُ، وهذه كلها تُزاد لكم» (مت٦: ٣٣)، وإن أردنا أشياء أخرى بجوار الرب فإنها سرعان ما تستحوذ على اهتمامنا شيئًا فشيئًا حتى أننا لا نجد وقتًا للرب وأموره في حياتنا. وكم هو جميل ورائع أن يكون لنا القلب الغير مُجزأ «وَحِّد قلبي لخوف اسمك» (مز٨٦: ١١)!

حدَّد الرسول **بولس** هدفه بأنه لا يعرف شيئًا بينهم إلا يسوع المسيح وإيَّاه مصلوبًا، وعاش في هذه الدائرة باستمرار، وكان شعاره «أنسى ما هو وراءُ وأمتدُّ إلى ما هو قدَّام» (في٣: ١٣) لذا نراه قُرب نهاية حياته يسطر هذه الكلمات بالروح القدس «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظتُ الإيمان» (٢تى٤: ٧). و**دانيآل** الذي «جعل في قلبه أن لا يتنجَّس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه» (دا١: ٨) وكانت شريعة وأمور إلهه هدفًا غاليًا على قلبه، وكان رجل صلاة من الطراز الأول، فعاش إلى نهاية حياته رجل الصلاة والشريعة ناميًا ومثمرًا.

وعلى العكس هناك مَنْ كان له هدفًا مُغايرا لهذا، مثل لوط الذي نقل خيامه إلى سدوم ولكن شيئًا فشيئًا أصبح من أصحاب الأملاك فيها، ثم من كبارها الذين يجلسون في بابها ليحكموا (تك١٩: ٩)، وماذا كانت

النتيجة؟ خسر كل شيء!! الشهادة للرب، والأملاك، والزوجة والأولاد والأنسباء و«خلص كما بنار»، ورأينا فيه مؤمنًا في الحضيض. وديماس الذي ترك الرسول بولس والخدمة «ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر» (٢تى٤: ٩) وبعد أن سُطِّر اسمه بحروف من نور، لم نعد نقرأ عنه شيئًا، فيا للخسارة!!

لا يكن في قلبي شريك لك   لك كل قلبي لك وحدك

مقياس النمو:

ليس هناك حد للنمو نتوقف عنده ونقول كفى، وإن كان نمو الكائنات الحيَّة له حد يتوقف عنده ثم يبدأ منحنى النمو في النزول مرة أخرى، إلا أن النمو الروحي لا يتوقف، هو مستمر باستمرارية الحياة، فحتى نهاية حياته استمر الرسول بولس يجتهد في الركض والتعلم إلى أن يصل إلى الغرض، الذي هو المسيح في المجد (في٣:١٣ و١٤)، «لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه» (في٣: ١٠)، وكذلك كان دانيآل إلى نهاية حياته رجل الصلاة القريب من كلمة الله، وصاحب الشهادة اللامعة المُضيئة، حقًا «يثمرون في الشيبة. يكونون دسامًا وخضرًا، ليُخبروا بأن الرب مستقيمٌ» (مز٩٢:١٤ و١٥)، لهذا يقول الكتاب: «إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح ... ننمو في كل شيءٍ إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح» (أف٤:١٣ و١٥)، والكمال هنا بمعناه الحقيقي أن يكون المسيح هو كل شيء في حياتنا وموضوع مشغوليتنا وتعبدنا، بل ومحور حياتنا.

لا يصلح إنسان، أيًّا كان، أن يكون هو مقياس النمو الذى نصبو إليه.

لا يصلح إنسان، أيًّا كان، أن يكون هو مقياس النمو الذي نصبو إليه. جميل أن ننظر إلى «نهاية سيرتهم فنتمثل بإيمانهم» (وليس بهم)، ولكن واحد هو الذي يستحق أن ننظر إليه باستمرار «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع» (عب١٢: ٢). هو المقياس الوحيد، لأن شخصه حوى جميع أوصاف الكمال، فنحن ارتبطنا بالمسيح ولو تمسكنا به وأصبح هو غرض عواطفنا، فسننمو في كل شيء، وسنصبح أدبيًا مثله، إنه رأس الجسد ... وفيه كل ما يلزم لنمو الجسد، ومنه الإمداد لكل عضو، إنه الكرمة الحقيقية، التي تمد كل الأغصان الحقيقية بالعصارة اللازمة للنمو، وذلك لبركة الجسد كله وبنيانه في المحبة. والهدف من النمو من يوم إلى يوم، ومن مرحلة إلى مرحلة، هو أن نكون أكثر شبهًا بالمسيح، بل ويتصوَّر فينا، وبلغة مدارس الأحد ''أن يكون كل منّا بمثابة مسيح صغير''.

مجالات النمو:

١- **النمو في النعمة** (٢بط٣: ١٨):

النمو في النعمة هو نمو في مُشابهة المسيح، المسيح المملوء نعمة، والنعمة ليست فقط مبدأً إلهيًا نفهمه ونتعلَّمه، لكنها أيضًا شيء عظيم نناله، وننمو فيه وبه، ونحصل عليها من ذاك الذي أتى إلينا «مملوءًا نعمةً وحقًا ... ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا، ونعمة فوق نعمة» (يو١: ١٤ و١٦)، وأيضًا في عرش النعمة «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً عونًا في حينه» (عب٤: ١٦)، وهذه النعمة التي ننمو فيها، لنا أيضًا أن نتقوى بها «فتقوَّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع» (٢تي٢: ١).

- إن طريق المؤمن وحياته فعلاً كلها «ونعمة فوق نعمة»، إنها نعمة مُتفاضلة، فالمؤمن خلص بالنعمة «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان» (أف٢: ٨)، والنعمة المُخلِّصة تُرافقه طول الطريق لكي تُعلِّمه «ظهرت نعمة الله المُخلِّصة ... مُعلِّمةً إيَّانا أن نُنكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبرِّ والتقوَى في العالم الحاضر» (تى٢:١١ و١٢).
- عندما أنمو في النعمة أُدرك أن ما أنا فيه من نجاح وتميُّز ومواهب ومقام في المسيح أساسه نعمة الله المُتفاضلة «أنا ما أنا... ولكن نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠)، فأشتاق أن تكون حياتى كلها له.

٢- النمو في معرفة شخص ربنا يسوع (٢بط٣: ١٨):

مع السنين نعرف الرب أكثر ونتمتع بشخصه وصفاته، وذلك من خلال العِشرة والسير والشَّركة معه والتعلُّم منه، كذلك عن طريق كلمته والخضوع لها، فنعرف أفكاره وقصده ورغباته وما الذي يُفرحه، أو يُحزنه فينا. ونعرف أمجاده وننشغل بها فلا ننخدع بأمجاد العالم الزائلة. إن الآباء في عائلة الله تميَّزوا بأنهم قد عرفوا الذي من البدء (المسيح) وهذه المعرفة لا تنتهي عند نقطة مُعيَّنة، إنها نهر سباحة لا يُعْبَر، فالرسول بولس بعد حوالى ٣٠ سنة في حياة النمو المستمر مع الرب نجده يقول: «لأعرفه... وشركة آلامه، متشبِّهًا بموته» (في٣:١٠)، لقد اشتهى الرسول أن يعرف الرب عن قُرب، ويعرف كل شيء عنه، في اتضاعه ومحبته، عواطفه وأحشائه، كماله ومحبته، طاعته وتكريسه، ليس الهدف أن يعرف المكتوب عنه، فهو

غير ناقص في هذا النوع من المعرفة، ولكن يريد أن يعرفه معرفة شخصية اختبارية لكي يتبعه، ويتشبَّه عمليًا بحياته، كالإنسان الكامل عندما كان هنا بالجسد على الأرض.

٣- النمو في الإيمان:

«لأن إيمانكم ينمو كثيرًا» (٢تس١: ٣). وليس المقصود هنا إيمان الخلاص فهذا يتساوَى فيه جميع القدِّيسين على اختلاف مستوياتهم، وعن هذا يقول الرسول بطرس: «إلى الذين نالوا معنا إيمانًا ثمينًا مساويًا لنا، ببرِّ إلهنا والمُخلِّص يسوع المسيح» (٢بط١: ١). ولكن المقصود إيمان الثقة، وكلما نما المؤمن، ازدادت واتسعت الجوانب التي فيها يثق في الله، من جهة كل شيء ويُسلِّم له ويستريح، هكذا كان إيمان الفتية الثلاثة (أو الرجال الثلاثة) عندما تكلَّموا مع نبوخذنصَّر «هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده يستطيع (نحن نثق في هذا) ... وأن ينقذنا من يدك أيها الملك. وإلا (وإن لم ينقذنا فإننا نثق في صلاحه) ... أننا لا نعبد آلهتك» (دا ٣:١٧ و١٨). وهكذا كان إيمان دانيآل حين طُرِح في جُب الأسود «فأُصعد دانيآل من الجُبِّ ولم يُوجد فيه ضررٌ، لأنه آمن بإلهه» (دا٦: ٢٣)، وهكذا كان بولس وسيلا في السجن «يصلِّيان ويُسبِّحان الله والمسجونون يسمعونهما» (أع١٦: ٢٥).

٤- النمو في المحبة:

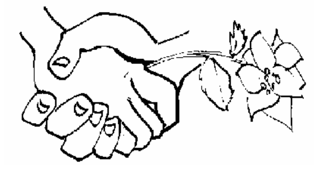

كانت صلاة بولس من أجل التسالونيكيين «والرب يُنميكم ويَزيدكم في المحبة بعضكم لبعضٍ وللجميع» (١تس٣: ١٢)، «ومحبة كل واحد

منكم جميعًا بعضكم لبعضٍ تزداد» (٢تس١: ٣). كانت هذه الفضيلة ظاهرة في هؤلاء المؤمنين «وأما المحبة الأخويَّة فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنفسكم مُتعلَّمون من الله أن يُحبَّ بعضكم بعضًا». والعكس، يعاتب الرب ملاك كنيسة أفسس «عندي عليك: أنك تركت محبتك الأولى» (رؤ٢: ٤)؛ أي أن المحبة تتناقص عن حالة الإيمان الأولى! ما هو حال محبتنا نحن؟ هل في تزايد ونمو مستمر؟!

- في الطفولة الروحية تتجه المحبة لبعض الأشخاص دون البعض الآخر، أما المؤمن فإن أحشاءه تتسع وتقبل الكل، المتفقين والمُختلفين معه في الرأي، وحتى المؤمنين وغير المؤمنين «الجميع»! كما أن المحبة الطفولية تتسم بالأخذ والأنانية، أما المحبة الناضجة فتتسم بالعطاء.

٥- النمو في إدراك وفهم كلمة الله:

كأطفال في الإيمان، فإن كلمة الله لنا بمثابة لبن نحتاجه لكي ننمو، وعندما نكبر فاللبن لا يُعد كافيًا فنحتاج إلى طعام البالغين «الطعام القوي» (عب٥: ١١-١٣)، والمؤمن كان ميتًا وأحياه الله في المسيح، وكلمة الله حيَّة أيضًا، ولأنها حيَّة، فكلما نقترب منها نرى فيها ما هو جديد، وكلما نتغذَّى عليها ننمو في فهمها، هي لم تتغيَّر، ولكن إدراكنا لها هو الذي يتغيَّر.

٦- النمو في القداسة:

«طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يُعاينون الله» (مت٥: ٨). كلما كبرنا ونمونا في حياة الإيمان كلما زاد إدراكنا لمعنى القداسة وبشاعة الخطية ومدى كراهية الله لها «والقداسة التي بدونها لن يرى أحدٌ الرب»

(عب١٢:١٤)، فلا نُصنِّف الخطية إلى كبيرة وصغيرة، بل ستزداد كراهيتنا لها وبُعدنا عنها والهروب منها، وسننفصل عن نجاسات العالم وشهواته ونتعلَّم ضبط النفس والرغبات، بل وسنبتعد عن كل شبه شر، ونسير زمان غربتنا بخوف. وتزداد الرغبة لأن نحيا لا لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام، وسيُصبح هو الهدف الذي نحيا لنكرمه ونمجده، وستتقوى علاقتنا به وشركتنا معه.

عوامل النمو:

١- كلمة الله:

من الصعب أن نحد فوائد كلمة الله في سطور قليلة، ولكننا نضع أمامك، عزيزي القارئ، هذه الخلاصات البسيطة، ونتركك لكي تكتشف بنفسك أهميتها من خلال قراءتك ودراستك لها. ولكي تعرف مدى أهميتها ابدأ بقراءة مزموري ١٩ و١١٩.

- **كلمة الله** تستحق أن تحتل المكان الأول والأعظم في قلبك وفي مكتبتك، لأنها كلمة الله الموحى بها. يُحكى أن رجلاً مُلحدًا مثقفًا اقترب من الموت فسأل مؤمنًا يعرفه، ليدله على أفضل كتاب يدل على حقيقة الكتاب المقدس، فأجابه بإصرار ''الكتاب المقدس''. فبدأ يقرأه وقبل أن ينتهي من السفر الخامس فهم أن هذا وحي إلهي وأصبح مؤمنًا. إن الكتاب المقدس يحمل في ثناياه دليل صدقه.
- ولكي تكتمل الفائدة منها اقرأها بالترتيب، وبفهم ووعي وتركيز، وبإمهال وتدقيق، لتعرف مضمون الكلام ومعناه،

واقرأها متأملا، ونمِّ عندك عادة حفظ الآيات واستعادتها في الذاكرة، لكي تستطيع أن تستخدمها في التوقيت المناسب والموقف المناسب، وُصف أهل بيرية بأنهم أشرف من الذين في تسالونيكي لأنهم كانوا يفحصون الكُتب كل يوم (أع١٧: ١١).

- نحن نحتاج إلى قراءتها ودراستها والتأمل فيها، ليس فقط لغرض التحصيل، ولا لغرض أن نكون مُتكلِّمين أو كارزين أو كُتَّابًا مُتعمقين – مع أن هذا حسن وجميل في وقته – بل بالأحرى لكي نُطيعها، ونتغذَّى عليها.
- يجب أن نقرأها في روح الصلاة والتواضع، والخضوع لسلطانها، متذكرين أن الله يُكلِّمنا من خلالها ونحن كذلك يجب أن نُكلِّمه ونحن نقرأها. وإلا فلن يحدث نمو روحي حقيقي لنا. وكما قال أحد القدِّيسين ''أرني مؤمنًا متغذيًا باستمرار بالكلمة، أُريك فيه حياةً مسيحيةً نضرةً زاهرةً ومثمرة''. والمؤمن الذي يلهج في كلمة «يكون كشجرةٍ مغروسةٍ عند مجاري المياه، التي تُعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل. وكل ما يصنعه ينجح» (مز١: ٢و٣).

- **كلمة الله** مؤثرة ولها فاعليتها في النفس وفي كيان الإنسان الداخلي، لأن موضوعها هو شخص الرب يسوع المسيح، الذي نشتاق لأن يَتصورَّ فينا ونكون مثله في سلوكنا «ينبغي

أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا» (١يو٢:٦)، «تاركًا لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» (١بط٢:٢١). ولا نجد هذا إلا في الكتاب المقدس بعهديه! ومن كلمة الله نتعلَّم أيضًا مقاصد الله وأفكاره الصالحة من نحونا على الدوام، ثم حقائق الإيمان المسيحي الأقدس التي نبني أنفسنا عليها.

- وكما تحتاج أجسادنا للطعام لكي تنمو، فإننا نحتاج إلى كلمة الله لكي ننمو روحيًا حيث «الحنطة تُنْمي الفتيان» (زك٩:١٧). ولا نمو بدونها، فهي اللبن العقلي العديم الغش، اللازم لنمو الأطفال المولودين حديثًا (١بط٢:٢)، وهي الطعام القوي للبالغين (عب٥: ١٤)، وهي مصدر للتغذية والفرح «وُجِدَ كلامك فأكلته، فكان كلامك للفرح ولبهجة قلبي» (إر١٥: ١٦).
- الكلمة تُنير الطريق للسلوك بحسب فكر الله «سراجٌ لرجلي كلامكَ ونورٌ لسبيلي» (مز ١١٩:١٠٥).
- تُنقِّي الإنسان من الداخل «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به» (يو١٥: ٣)، وتُنير ذهنه وتُقوِّم أفكاره. فذهن الإنسان يقود قدمه (سلوكه) لذلك يقول الكتاب: «مُمنطقين أحقاءَكم بالحق»، ويقول أيضًا: «منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين»؛ وسلوك الإنسان يستقي موارده مما انغرس في كيانه وذهنه من مبادئ وأفكار واتجاهات. وكم يكون السلوك رائعًا عندما ينشغل الذهن بكلام وأفكار الله المُعلَنة في كلمته! فـ «كل الكتاب هو موحى به من الله ... لكي يكون إنسان

الله كاملاً، متأهبًا لكل عمل صالح» (٢تي٣:١٦ و١٧).

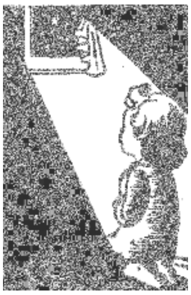

- الكلمة **تكشف** الأعماق، والأفكار، وتحكم على النيَّات، والدوافع، وفي حضرة الله تكشف وتدين كل ما يُعطِّل المسير، وكل ما يجمِّل العالم في أعيننا فنتحرَّر لمواصلة طريق الغربة، وعندما يوجَّه سهم الكلمة إلى القلب والضمير يخترق كل ما هناك من شر وإهمال ولامبالاة واعتداد بالذات، فيسقط الكل أمام هذه الكلمة الحيّة الفعّالة الأمضى من كل سيف ذى حدّين، وينطلق المؤمن في حياة النمو.
- الكلمة تُعلِّمنا «كل ما سبق فكُتِب كُتِبَ لأجل تعليمنا» (رو١٥:٤)، وتُنذرنا لكي نتحذَّر من أخطاء الآخرين «وكُتبت لإنذارنا» (اكو١٠:١١).
- بدون الكلمة نظل أطفالاً في تفكيرنا وتصرفاتنا، وأيضا نكون متعثرين في خطواتنا، ومضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، حيث ليس لدينا أساس كتابي لما نقول، فنتكلَّم أي كلام!! ونكون عُرضة لأن نصدِّق أي شيء حتى الأكاذيب، ولا نستطيع أن نمتحن الأرواح هل هي من الله؟ ولا نستطيع أن نُميِّز الحسن لكي نتمسَّك به، ولا بين الخير والشَّر، ونحيا حياة الهزيمة المُحقَّقة، فهي مع الصلاة سلاح حربنا ضد الشيطان «سيف الروح»، ومن المؤكد أن الشيطان لن يخشى مؤمنًا جاهلاً بكلمة الله.

- وأخيرًا نقول استودع الرسول بولس قسوس كنيسة أفسس لله ولكلمة نعمته «والآن أستودعكم يا إخوتي لله ولكلمة نعمته، القادرة أن تبنيكم وتُعطيكم ميراثًا مع جميع المقدَّسين» (أع٢٠:٣٢). إن كل مَنْ يُفتش كلمة الله ويقرأها، فإن الكلمة ستُقرِّبه إلى الله حتى وإن كان مُلحدًا، ولا ننسى القول المأثور: ''يوجد أعظم رجاء لأعظم خاطئ يقرأ الكتاب المقدس، ويوجد أعظم خطر على أعظم قدِّيس يهمل قراءة الكتاب المقدس''.

الرب نفسه عظّم الشريعة،وكانت موضوع لهجه باستمرار، وحفظها «وشريعتك في وسط أحشائي»، واستخدمها في حربه مع الشيطان (مت٤: ١-١١؛ لو٤: ١-١٢).

٢- الصلاة:

إذا كانت كلمة الله هي أنفاس الله، فالصلاة هي زفير المؤمن الذي يتجاوب مع هذه الكلمة «لا تستر أُذنك عن زفرتي، عن صياحي» (مرا ٣: ٥٦). والصلاة تزيل المعوقات وتجلب المشجعات.

- الصلاة هي الصلة مع الله والالتصاق به والاقتراب منه بحديث شخصي، حيث المناخ الملائم والجو النقي الذي فيه نمكث أمام الله، فتستشعر النفس ضعفها وتستند تمامًا عليه وعلى نعمته، ومحبته، وقوَّته، فتتلامس معه، مُعبِّرة عن شكرها وتقديرها له، واضعة أمامه شكواها

واحتياجاتها ومُلقية عليه كل همومها «مُلقينَ كل همَّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (١بط٥: ٧).

- الصلاة علاج لكل المشاكل التي نعاني منها والتي تعوق نمونا، ففيها علاج للقلق، وفيها التمتع بسلام الله الذي يفوق كل عقل (في٤: ٥-٧)، وبها نحصل على حكمة من الله لفهم قصده من التجارب التي يسمح لنا بها (يع١: ٥). تساعدنا على التحلِّي بالصبر في مواجهة الضيق والآلالم، وفيها علاج للمشقات والمرض الذي بسبب الخطية (يع٥: ١٣-١٥).

- الصلاة تجلب قوة الله إلى جانبي، لنجدتي «وادعني في يوم الضيق أُنقذك فتُمجِّدني» (مز٥٠: ١٥). صرخ بطرس «يا ربُّ، نجِّني!» فنُجِّيَ من الغرق (مت١٤: ٣٠)، وصرخ يهوشافاط في وقت الخطر، رغم أنه كان في موقف خاطئ، فساعده الرب وحوّل الأعداء عنه (٢أخ١٨: ٣١).

- بالصلاة وكلمة الله أستطيع وأنا في منتهي الضعف أن أتصرف بمنتهى القوة، أمام أعتى الأقوياء، حتى ولو كان نبوخذنصَّر. الصلاة هي القوة التي تجعلني أتحدى بنعمة الله أتون النار المُحْمَى سبعة أضعاف، ويهون أمامي جُب الأسود، فأُنْقَذ من هذا وذاك، وأخرج باختبار جديد، مُتكلاً على الله، منطلقًا في حياة النمو من قوة الى قوة! فيصير وادي البكاء ينبوعًا. حدث هذا مع الفتية (الرجال) الثلاثة ودانيآل، فكانت أروع وأكرم شهادة لله على لسان ملوك يعبدون الأوثان (دا ٣و٦) الصلاة تُنجِّي من القتل (دا٢١:١٨

و١٩)!! الصلاة جعلت الملك يقول لرجل الله نحميا: «مـــاذا طالب أنت؟»! والجميل في نحميا أنه يُـصلِّي أيـضًا لكـي يُخبره الله ماذا يطلب!! فكان الخير له ولشعب الرب!! (نـح ١: ٤، ٢: ٤). حقا إن «طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلهـا» (يع٥: ١٦).

- والصلاة هي أحد أهم قطع سـلاح الله الكامـل (أف٦: ١٨) الذي به نثبت ونقاوم مكايد إبليس وحيّله الخبيثـة المـاكرة، سواء أتى إلينا في صورة الحيَّة، أم في شبه ملاك نـور، أم أسد مُفترس مزمجر (تك٣: ١؛ ٢كو١١: ١٤؛ ١بـط٥: ٨) فننجو نحن وبيوتنا واجتماعاتنا، من فخاخه ونكـون شـهادة لامعة لمجد الرب.

- وليس أدل على أهمية الصلاة واحتياج المؤمن بصفة خاصة إليها من أن الرب نفسه – تبارك اسمه – كإنـسان مارسـها كثيرًا، في كل المواقف التي اجتاز فيها، سُـجِّل عنـه فـي الأناجيل ٢٢ مرة أنه صلَّى. فمثلاً، قبل أن يختار التلاميـذ قضى الليل كله في الـصلاة لله (لـو٦: ١٢)، فـي بـستان جثسيماني، قبل أن يواجه الصليب، صلَّى ٣ مرات (مت٢٦: ٣٦-٤٤). ويسجل الرسول بولس عنه هذا الأمر المُبـارَك «الذي، في أيام جسده، إذ قدَّم بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ طلبـاتٍ وتضرعاتٍ للقادر أن يُخلِّصه من الموت، وسُمِعَ له من أجل تقواهُ» (عب٥: ٧)، **وحرَّض عليها** الرب قائلاً: «ينبغـى أن يُصلَّى كل حينٍ ولا يُمَلَّ»، وقال عن نفسه: «أما أنا فصلاة»

(مز ١٠٩: ٤)، بمعنى: ''أما أنا فقد أعطيت نفسي للصلاة، أو أما أنا فللصلاة''.

- نحن نحصل على معونة عظيمة إذا قرأنا كلمة الله بروح الصلاة، وإذا صلَّينا بروح المكتوب، أي نُصلِّي حول ما قرأناه وتأملناه، لتسكن فينا كلمة المسيح بغنىً، ونستعملها بقوة. وقد شبَّه أحد رجال الله المؤمن بطائر، جناحيه هما: كلمة الله والصلاة. لا غنى له عن أحدهما، ولا يستطيع أن يحلِّق عاليًا إلا بهما معًا.

- والشيء المهم هو أن نُصلِّي من القلب بقوة الروح القدس، بإيمان وببساطة، من جهة أى شيء وكل شيء (في٤: ٦ و٧)، صغيرًا وسهلاً، أم كبيرًا ومستعصيًا، فالله يهتم بكل طلباتنا، وليس شيئًا صعبًا لديه. «مُصلِّين بكل صلاةٍ وطلبةٍ كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينهِ بكل مواظبةٍ وطلبةٍ، لأجل جميع القدِّيسين» (أف٦: ١٨). **ويقول يوحنا بنيان:** ''إن الصلاة هي درع للنفس، وذبيحة لله، وطعنة للشيطان''!

- ولكي تُستجاب صلواتنا فيجب أن تكون بإيمان (يع١: ٦ و٧)، وتكون حياتنا مقدَّسة، وأن نطلب حسنًا «تطلبون ولستم تأخذون، لأنكم تطلبون رديًا لكي تنفقوا في لذَّاتكم» (يع٤: ٣)

- لا يهم في الصلاة الطريقة أو المكان أو الزمان، فيمكننا أن

نُصلِّي واقفين، راكعين، جاثين، ساجدين، جالسين، ونحن رافعو الأيدى، بصوت عال، في صمت، بصراخ، بصراخ ودموع. كفرد، كمجموعة، في اجتماع، كأسرة. في الفراش، على شاطئ البحر، على ضفة النهر، في السجن، في الحقول. في أوقات ثابتة، في كل حين، في نصف الليل، في الصباح الباكر المهم هو حالة واتجاه ووقار القلب أثناء الصلاة.

- مع عظمة وروعة وسهولة الصلاة، فإنها الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الجسد أن يفعله، وتلقى مقاومة شديدة من الشيطان، ربما لا يمنع الجسد أن نقضي وقتًا في قراءة الكتاب أو الشروحات، ولكنه يجد في الصلاة أمرًا مملاً وثقيلاً، فيغالبنا السرحان، وربما النوم «أ هكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ ... أما الروح فنشيطٌ وأما الجسد فضعيفٌ» (مت٢٦: ٤٠ و٤١).
- «فلنتقدم بثقةٍ إلى عرش النعمة (المكان المفتوح والمتاح أمامنا دائما إذ ليس له أبواب، وليس له توقيت) لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً عونًا في حينه» (عب٤: ١٦).

٣- حياة القداسة:

يجب أن لا نستهتر بالخطية ولا نُصنفها إلى خطية كبيرة وأخرى صغيرة، ففي ضوء قداسة الله، فإن الخطايا التي نظن أنها مجرد أمور بسيطة أو تافهة هي في ضوء قداسة الله شنيعة ومُريعة، تجعلنا نصرخ مع إشعياء قائلين: «ويلٌ لى! ... لأني إنسانٌ نجس الشفتين» (إش٦:

٥)، وهي تُحزن الروح القدس الساكن فينا وتُعطِّل عمله، ولا بد أن نراها نحن ونشعر بها أنها فعلاً كذلك، وحينئذ فقط نستطيع أن نعترف بها ونتوب عنها ونهرب منها وهذا يحفظنا، ويجعلنا في شركة مع الآب ومع ابنه بقوة الروح القدس.

٤- الاجتماعات والفرص الروحية:

وهي المدرسة التي فيها نتعلَّم المسيح ونتبادل الإختبارات المُشجعة بعضنا مع بعض لكي ننمو معًا ونتعزَّى معًا ويبني أحدنا الآخر.

٥- رفقة الحُكماء والشركة مع المؤمنين:

إن كنا رأينا ضرورة الشركة مع الرب من خلال الكلمة والصلاة، فإننا نقر أيضًا بضرورة الشركة مع القدِّيسين الذين يتَّقون الرب. «القدِّيسون الذين في الأرض والأفاضل كلُّ مَسرَّتي بهم» (مز ١٦: ٣)، وصلَّى المرنم قائلاً: «رفيقٌ أنا لكل الذين يتقونك ولحافظي وصاياك» (مز ١١٩: ٦٣)، ويُحرِّض الكتاب على ذلك «اتبع البِرَّ والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقيٍّ» (٢تي٢: ٢٢).

نحن نتأثر بالرفقاء، بدون أن نشعر، نتأثر باتجاهاتهم وبطريقة تفكيرهم في مواجهة الظروف المختلفة ومع الوقت نصبح مثلهم. لقد تعجَّب رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل لما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان، ولكن زال التعجب عندماعرفوهما أنهما كانا مع يسوع (أع٤: ١٣).

كم من مرة تأثرت حياتنا ببعض الشخصيات التي تعاملنا معها. وفي الكتاب، كم تأثر يشوع إيجابيًا برفقة موسى حتى أنه عندما خرج

من المحلَّة ونصب الخيمة خارجها خرج معه، وكم تأثر أليشع بنبي الله إيليا حتى أنه عندما سأله إيليا: «ماذا أفعل لك قبل أن أُوخَذَ منك؟ فقال أليشع: ليكن نصيب اثنين من روحك عليَّ» (٢مل٢: ٩)، وانعكس تأثير كرنيليوس، الذي كان تقيًا وخائفًا الله، على أحد عساكره الذين كانوا يلازمونه فقيل عنه: «تقي» (أع١٠: ٢و٧) وكذلك تأثر تيموثاوس الشاب إيجابيًا برفقة بولس الرسول. ولنلاحظ أننا لا نعتمد على هؤلاء الأفاضل، بل نتمثل بإيمانهم، ونستفيد من كونهم قدوة ونماذج إيجابية.

٦- الخدمة الروحية:

هي بمثابة الرياضة للمؤمن، ولكل مؤمن عمل أو خدمة، ومن خلال الخدمة نتدرَّب ونحرص على التدقيق في السلوك لئلا نُعثر أحدًا، أو لئلا تُلام الخدمة، كذلك نواظب على السهر في الصلاة لكي يؤيِّد الرب خدمتنا ونهتم بدراسة الكلمة لكي يكون عندنا مادة للخدمة. كل هذا له انعكاساته الروحية على حياتنا ويؤدي إلى نمونا روحيًا.

وللذي يخجل من أن يُمارس الخدمة، نقول له: ابدأ من الصفر، مثل: زيارة مريض، أو افتقاد أخ تغيَّب عن الإجتماع ولو بالتليفون، قدّم تأملاً بسيطاً، قدِّم دعوة لآخر لحضور فرصة روحية! هل تعرف كيف بدأت خدمة أندراوس؟ قال لسمعان (بطرس): «قد وجدنا مسيًّا الذي تفسيره المسيح. فجاء به إلى يسوع» (يو١:٤١ و٤٢)! وكل ما قاله فيلبس لنثنائيل: «تعال وانظر» (يو١:٤٦ و٤٧). وهكذا السامرية التي أتت بأهل السامرة إلى المسيح، بالقول: «هلموا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح؟ وآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة» (يو٤: ٢٨-٣٩).

والمؤمن الذي يدرس كثيرًا ولكن بدون خدمة، يُصاب بتخمة روحية، يكون لديه كم من المعرفة، فماذا يفعل بها؟ تجده عندما يجلس في جلسة مؤمنين، يستعرض عضلاته متعاليًا، فتجده يسأل سؤالاً، هو يعرف إجابته، ويُكثر نقده للآخرين وخدمتهم!!

ما أروع المؤمن الذي يتغذَّى على كلمة الله ويُمارس الصلاة بأسلوب صحيح، مُطبقًا ما قرأه، وما درسه، وما صلاَّه على سلوكه، وتحرَّكه ليُفيد الآخرين!!

٧- الخضوع للتدريبات الإلهية:

من خلال الألم والضغطات الإلهية، ترتقي النفس روحيًا وتسمو في علاقتها مع الله، فتفهم الكثير عن ضعفها وهشاشتها، وتفهم الكثير عن محبة الله وقدرته وحكمته وقصده.

التدريبات الإلهية تُشكِّل وتُغَيِّر فينا، وتفطمنا عن أمور، تعلقنا بها وغير نافعة لنُمُونا بالمرة، بل هي أدوات لتعطيلنا!! أما التدريبات الإلهية فهي تُشكِّل في شخصياتنا كما يشكِّل الفخَّاري الأواني، وذلك إذا رأى الله الحكيم مثلاً أن الألم لازم لكي نصنع مشيئته، أو لنتعلَّم درسًا معيَّنا!!

الألم والضيق يعلِّمان الصبر، وهذا عين ما كُتب للعبرانيين: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب١٠: ٣٦)، وربما نُصاب بألم معيَّن في الجسد لنمتنع عن خطية معيَّنة، تعوق نمونا، فالكتاب المقدس يقول: «فإن مَنْ تألم في الجسد، كُفَّ عن الخطية» (١بط ٤: ١)، أو لنتحرَّر من الأنانية فنشعر بالآخرين في آلامهم وتنضج شخصياتنا. فالألم بركة، ينقِّي الله من

خلاله حياتنا من الشوائب والضعفات وكل ما من شأنه أن يعوق نمونا، تمامًا مثلما يُمتحن الذهب بالنار لكي يُنقَّى من الشوائب. ومن خلال الألم ننمو ونتعلَّم فضائل متنوعة تصل بنا إلى أن نكون «كاملين (ناضجين) غير ناقصين في شيء» (يع١: ٢-٤).

معوقات النمو:

١- إهمال كلمة الله والصلاة:

جناحي المؤمن، فيصبح المؤمن كطائر بدون جناحين، لا يستطيع الطيران ولا النهوض، وبدلاً من أن يطير فإنه يزحف في مهانة! وبدلاً من أن يكون ذا طابع سماوي، يوجد ذا طابع أرضي يتسم بالسلوك الجسدي لا الروحي، يفقد سلاحه فيصير مهزومًا.

٢- الحرب الروحية:

يشن الشيطان على المؤمنين حربًا شعواء لا هدنة فيها ولا هوادة، يتنوع فيها أسلوبه، معتمدًا على دهائه ومكره، بخبرته التي تزيد على ستة آلاف سنة. هو يعرف «أن له زمانًا يسيرًا»، ويعرف أيضًا أنه لن يستطيع إهلاك المؤمن، إذًا فليعطِّل نموه الروحي، ويفسد تمتعه بما له في المسيح. لكن شكرًا للرب الذي لم يتركنا فريسةً له، بل أعطانا كل ما هو لازم للنصرة، فلنا أن نتقوى في الرب وفي شدة قوته!! وما أرهبها قوة، ولنا أيضا سلاح الله الكامل والذي لا نحتاج معه إلى شيء (أف٦: ١٠-١٨).

٣- الفهم الخاطئ للطموح:

يفقد البعض فرصة النمو بحجة أن رتم الحياة أصبح سريعًا جدًا،

وبحجة الرغبة في تحسين المستوى الاجتماعي، والوصول إلى مستوى معيشي أفضل. إنه نوع من الطموح. وهل الطموح خطأ؟ كلا. إن الطموح في حد ذاته أمر مشروع، فليس عيبًا أن يطمح الإنسان في أن يكون ناجحًا، والرب يريدنا أن نكون ناجحين، «وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحًا»، كان يوسف ناجحًا في كل شيء، روحيًا وزمنيًا!! ويوحنا الرسول يكتب: «أيها الحبيب، في كل شيءٍ أروم أن تكون ناجحًا وصحيحًا، كما أن نفسك ناجحةٌ» (٣يو ٢). ولكن المشكلة تكمن في مفهومنا للطموح، فيصبح الطموح أكبر معطل للنمو الروحي! لماذا؟ لأننا غالبًا لا نضع سقفًا للطموحات ولا نضع نهاية للتطلعات. ونريد أن ننتقل من خطوة إلى خطوة أفضل، ومن نجاحٍ إلى نجاحٍ، وهكذا إلى أن ندخل في دوامة الحياة بطريقة تطغي على كل تفكيرنا، فلا يعد لدينا وقت للأمور الروحية أو للأمور العائلية، ويتحول الطموح إلى طمع، ويصبح الغنى والعالم هدفًا لا وسيلة، ولا نستطيع أن نقاوم الإغراءات التي تحيط بنا من كل جانب، مع أن الغنى ليس له أرضية صلبة يستقر عليها، وليس هو بالشيء الذي يمكن أن نستند عليه «أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا، ولا يُلقوا رجاءهُم على غير يقينية الغنى، بل على الله الحيِّ الذي يمنحنا كل شيء بغنًى للتمتع» (١تي٦: ١٧). وحسنًا قال الكتاب: «وأما التقوى مع القناعة فهي تجارةٌ عظيمةٌ» (١تى٦: ٦). «وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا (أي محبة المال)» (١تى٦: ١١).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

هل لديك طموحُ في الأمور الروحية بقدر ما لديك من طموحٍ في الأمور الزمنية؟!

إن الفرق بين الطموح والطمع ''شعرة'' والطموح ببساطة هـو أنني أكون ناجحًا بطرق مشروعة وصحيحة، وليس على حساب الأمور الروحية، وقتي منظم، الرب له وقتـه، وكذلك الأمور الروحية والأُسرية، وإن كان يجب أن تكون هناك تضحية بشيء ما فلتكن الأمور الزمنية!! ولا ننسى قول الحكيم: «لا تتعب لكي تصير غنيًا» (أم٢٣: ٤)، و«بركة الرب هي تُغني، ولا يزيد معها تعبًا» (أم١٠: ٢٢).

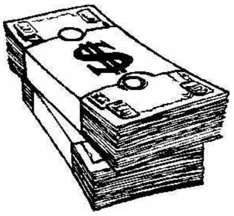

وبحجة الطموح:

- اختلطنا بالأشرار، وشابهناهم في الهدف، وعذَّبنا أنفسنا بالتواجد بينهم، وفقدنا أخلاقياتنا المسيحية وشهادتنا، واستبدلنا القدِّيسين بالأشرار، وأهملنا الاجتماعات الروحية والسجود، وأصبح مطلبنا الأرضيات لا السماويات **(لوط)**، تركنا رفقة الخدَّام والخدمة واستبدلنا التبر بالتبن **(ديماس)**، استسلمنا لطاحونة الحياة، وانهمكنا في العمل الزمني والعمل الاضافي بدون هوادة، وأهملنا الأسرة والأولاد، والأمور الروحية وأمور الله، غطَّت الاهتمامات الزمنية تمامًا على الأمور الروحية، فأصبح الضعف، والهزال الروحي، وعدم الأمانة، والسطحية، والطفولة الروحية، وهجر الاجتماعات هي السمات الغالبة لقطيع الرب الغالي، فليتنا نتحذَّر ونستيقظ!!

٤- التليفزيون والنِّت:

عندما تتكلَّم عن التليفزيون فأنت لست عصريًا، هكذا يقولون، لقد

أصبح التليفزيون والدش شيئًا عاديًا في بيوت المؤمنين، وهذه ليست المشكلة، بل المشكلة أصبحت فيما نرى، وفي كيفية قضاء الوقت أمامه، ومع تعدد القنوات، أصبحنا لا نلاحق القنوات وتتبع الأخبار، مع أنها مزعجة ومحبطة، من هنا وهناك، ثم بعد أن نشاهد ونسمع، يكون ما سمعناه هو موضوع حديثنا ومناقشاتنا، **أ ليس في هذا مضيعة للوقت؟!** لقد كادت أن تختفي الجلسات الروحية من حياتنا، تلك التي فيها نتكلَّم ونتناقش في أمور روحية ''**تبني**''.

وسمة شيء آخر خطير تسرَّب إلى حياتنا، وهو إهمال الاجتماعات الروحية، بحجة مشاهدة الخدمات على الفضائيات، وأصبحنا نفعل ذلك بضمير مخدَّر، وحسنًا قال أحد المؤمنين في هذا: ''أمام الفضائيات أنا أشاهد الطعام، لكن في الاجتماع أنا آكل الطعام وأتغذَّى عليه''، ونسينا التحريض «غير تاركين اجتماعنا كما لقومٍ عادةٌ» (عب١٠: ٢٥).

وهناك مُدمِّر آخر للوقت انتشر بين المؤمنين في هذه الأيام، ربما لسهولة الحصول على الكمبيوتر الشخصي أو المحمول ''لاب توب''، وهو تحميل الأفلام على الكمبيوتر، ومشاهدتها، ونسمع كثيرًا من أبنائنا الشباب: ''يا بابا الفيلم ده ما فيهوش حاجة'' – يقصد مناظر مبتذلة – وكأن الوقت ليس له حساب!

هناك أيضًا الكثير من الألعاب ''بالكمبيوتر''، ربما في حد ذاتها بريئة ولكنها مُرعبة في تضييع وتدمير الوقت، ناهيك عن الشوشرة

وتنجيس الذهن والأفكار، ثم بعد هذا نشكو من انسداد الشهية للكتاب والصلاة والاجتماعات، فهل نستيقظ أيها الأحباء ونفتدي الوقت لأن الأيام شريرة ولأن الوقت منذ الآن مُقصَّر (أف٥: ١٦؛ ١كو٧: ٢٩) قبل فوات الأوان؟؟ لكي لا تكون السطحية الروحية التي نشكو منها كثيرًا في هذه الأيام هي الصفة السائدة على حياتنا!

٥- المُعاشرات الرديَّة وأصدقاء السوء:

سواء في مجال العمل أو الدراسة أو حتى في المجال الروحي مما يضعفنا روحيًا، والكتاب ينهانا عن هذا «لا تكونوا تحت نيرٍ مع غير المؤمنين» (٢كو٦: ١٤)، «لا تضلوا: فإن المعاشرات الرديَّة تُفسد الأخلاق الجيدة» (١كو١٥: ٣٣)، لكن كثيرًا ما نُجاملهم تجنبًا لشرِّهم، وأحيانا نُشاركهم في كلام السفاهة والهزل لكي نتقي استهزائهم بنا أو وصفنا بالتزمت، لكن الكتاب يقول: «لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحريِّ وبِّخوها» (أف ٥:١١)- (انظر تأثير صديق أمنون عليه!).

وربما **يواجه حديثو** الإيمان هذه المشكلة أكثر من غيرهم، فأصدقاء ما قبل الإيمان لن يتركوهم بسهولة. وربما أطلقوا عليهم بعض السخافات من باب ''التريقة والإستهزاء''، أو حاولوا جذبهم إليهم مرة أخرى. وقد يحدث أحيانا وبمرور الوقت أن المحبة للرب تفتر، ونشوة الإيمان تضعف، فيميل المؤمن إليهم، بفكرة ''لكي يأتي بهم للمسيح» والحقيقة أن هذه أيضًا خدعة كبيرة، فالطبيعة أيضًا تعلِّمنا

''البيض الفاسد هو الذي يؤثر على البيض الجيد، والطماطم الفاسدة تتلف الطماطم السليمة وليس العكس''!! تذكَّر أنه عندما صاهر «يهوشافاط» التَّقي «أخآب» الشِّرير، وصل به الأمر أن يقول له: «مَثَلِي كَمَثَلك» وقد كاد «يهوشافاط» أن يُقتل لولا أنه صرخ للرب فساعده الرب وحوَّل الله الأعداء عنه (٢أخ ١٨:٣ و٣١)، وجاءته رسالة عتاب غاضب من عند الرب بفم «ياهو بن حناني» الرائي (٢أخ١٩: ٢). ولوط أيضًا عندما ذهب إلى سدوم، كان كمازح في أعين أصهاره عندما أنذرهم بهلاك المدينة (تك١٩: ١٢)، لقد أحدروه هم، ولم يستطع هو أن يجذبهم. وعندما يرى أصدقاء الأمس التغيير الذي حدث فيك وأن الأشياء العتيقة قد مضت وهوذا الكل قد صار جديدًا، وعندما تظهر لهم فضائل المسيح، فإنهم إما أن ينفصلوا هم عنك أو ينجذبوا إلى الطريق الجديد الذي أنت سائر فيه. وليكن هذا موضوع صلاتك باستمرار.

وكم من مؤمن خسر الشهادة بسبب شركة مع شريك أو صديق غير مؤمن! وهناك مِمَنْ كنا نتوقع لهم الكثير ولسبب سوء اختيار الرفقة تراجعوا روحيًا!

وكأمثلة لمَنْ اختاروا رفقاءً أشرارًا وكيف هوت حياتهم وانحدروا وخسروا زمنيًا وأبديًا نذكر **أمنون**. كان لأمنون – ابن الملك داود – صديقٌ حكيمٌ جدًا، ابن عمٍ اسمه يوناداب، أشار على أمنون مشورةً بها يصطاد أخته «ثامار» ويوقع بها في حبائلة ليزني بها، يا للبشاعة!! «حكمة أرضية نفسانية شيطانية» (يع٥: ١٥)، ماذا كانت النتيجة؟ زنَى بأخته وأذلَّها، أبغضها وطردها، أقامت مستوحشة في بيت أبشالوم أخيها، وبعد سنتين قُتل أمنون على يد غلمان أبشالوم، هرب أبشالوم

ثلاث سنوات (اقرأ القصة كاملة في ٢صم١٣)، لذلك يطوِّب الكتاب الرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار (مزمور١). **ودينة ابنة يعقوب**، التي خرجت لتنظر بنات الأرض – في مدينة شكيم – فرآها شكيم ابن حمور ... وأخذها واضطجع معها وأذلَّها، فدبَّر إخوتها مكيدة بها قتلوا كل ذكور المدينة وسبوا ونهبوا الأطفال والنساء وكل ما في البيوت (اقرأ القصة كاملة في تك٣٤)، فلنحذر جدًا من أصدقاء السوء ومن أن نشاكل هذا الدهر.

٦- السقوط في الخطية وعدم الإعتراف بها:

قد يسقط المؤمن في خطية، وتُصبح ثقلاً على ضميره وهذا يُعيق نموه، إذ يحزن الروح القدس فيتعطل عمله في المؤمن، وعدم الإعتراف بها والتوبة عنها يعني الإصرار عليها بما لها من آثار وخيمة، وهذا ما حدث مع داود النبي (اقرأ مزمور ٣٢)، ولا شك أن هذه فرصة ينتظرها الشيطان فنعطيها له على طبق من ذهب، لكي يهاجمنا ويشككنا في إيماننا لا سيما مع المؤمن الحديث، ولكن لا تفرّط، يا عزيزي، في ثقتك بالله وبكلمته «إن اعترفنا بخطايانا ... يغفر لنا» (١يو١: ٩)، و«لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ» (١يو٢: ١)، اعترف بالسقطة أمام الله أبيك تنل منه الغفران.

٧- التسلِّي بسيرة الآخرين:

والحديث عن سلبياتهم سواء بالكذب أو بالصدق، وحُب السمع عن مساوئ الآخرين، فهذه أمور تقود للضعف وتسهل الوقوع في الشَّر، وهذه ليست من سمات المؤمن الروحي الذي لا يعتبر نفسه أفضل من الآخرين!

٨- الهوايات:

هذا أمر يبدو غريبًا، فنحن كثيرًا ما نسمع التحريض بأن ننشغل بهوايات مفيدة. هذا حقيقي، ولكن الخطورة ليست من الهواية نفسها، بل من الاستغراق فيها فتصبح ثقلاً يصعب التخلص منه، لذلك يجب أن تُعطي الأولوية للمسيح وأموره، ولنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة (عب١٢:١). لقد فقد الكثيرون نضارتهم الروحية وضاعت عليه فرص كثيرة لأن ينموا نموًا روحيًا حقيقيًا، ويثمروا لمجد سيِّدهم، ليس بسبب حياة عالمية يعيشونها أو بسبب خطية استُعبِدوا لها، بل لأنهم انغمسوا في هواية معيَّنة تُرضي مزاجهم فسرقت وقتهم، بل وعمرهم الثمين.

٩- الشهوات الشبابية:

«أما الشهوات الشبابية فاهرب منها». إنها التمركز حول الذات لإشباعها وإمتاعها، إنها تشمل مناظر ومسرات العالم والطموح ومحبة المال ومحاولة الوصول إلى ذلك بكافة الوسائل حتى الأمور الروحية لغرض تعظيم الذات وإشباعها وإمتاعها، وهي من أكبر المعطلات الروحية.

١٠- الاهمال والكسل:

الكسل والتراخي يعرضنا للهزيمة المستمرة، و«الرخاوة لا تُمسك صيدًا، أما ثروة الإنسان الكريمة فهي الإجتهاد» (أم١٢: ٢٧)، وحتمًا سيؤثر هذا سلبيًا على نمونا الروحي، حتى لو لم تكن هناك خطية مُحدَّدة في حياتنا فاحذر، عزيزي القارئ، من الكسل وخطورته على حياتك الروحية (انظر أمثال ٢٤: ٣٠-٣٤).

خطورة عدم النمو:

١- يظل المؤمن طفلاً، ربما رجلا في عمره ومظهره، ولكن طفلاً في تصرفاته، مع كل ما للطفولة من سلبيات في الفكر والكلام والتصرف ورد الفعل. إنها طفولة مرضية، وهو أمر مُحزن أن يظل المؤمن بعد عمر طويل في الإيمان بعيدًا عن الرجولة الروحية «لأنكم - إذ كان ينبغي أن تكونوا مُعلِّمين لسبب طول الزمان - تحتاجون أن يُعلِّمكم أحدٌ ما هي أركان بداءة أقوال الله، وصرتم محتاجين إلى اللبن، لا إلى طعام قويٍّ» (عب٥: ١٢). كان يجب أن نقدِّم المسيح للآخرين ولنا معرفة حقيقية قلبية عميقة ولسان حالنا «نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا» (أع٤: ٢٠)، لذا يأتى التحريض «كونوا رجالاً» (١كو١٦: ١٣؛ عب٥: ١٢-١٤). فمن ناحية، يُحمل المؤمن بكل ريح تعليم، مرة شمالاً ومرة يمينًا، ومن ناحية أخرى يُصبِح شخصًا اعتماديًا، كما نقرأ عن لوط «ولوط السائر مع أبرام»، لا يعتمد على الرب، بل على الآخرين في قراراته وفي حياته الروحية، وبالتالي لا يكون مِعطاءً مُقدِّمًا بل مُستقبلاً فقط ... وهل مثل هذا يكون نافعًا للسيِّد ومستعدًا لكل عمل صالح؟!

٢- فشل الشهادة، فالشهادة للمسيح تحتاج إلى رجال بالغين، لا إلى أطفال محمولين، وكيف نشهد وأعراض الطفولة، من تحزب وانشقاق وحسد وخصومات تظهر فينا، هكذا كان الكورنثوسيون!!

٣- عدم النمو يكشف عن أمراض وعادات خطيرة دفينة في حياة الشخص، مثل تناول غذاء غير صحي، أو صداقات غير بريئة، أو سلوكيات غير صحيحة، القناعة بأقل القليل في الأمور الروحية، وعدم

استغلال الوقت فيما يفيد. فلنفحص أنفسنا ونتحذر!!

٤- إن كان عدم النمو في النبات غير مُثمر، وإن أنتج تكون ثماره قليلة ومنخفضة الجودة والقيمة، وقليلة السعر، لكن في المؤمن يكون الثمر عادة عديم القيمة «خشب .. عشب .. قش»!

نماذج للنمو:

- **صموئيل:** «وأما الصبي صموئيل فتزايد نموًا وصلاحًا لدى **الرب** و**الناس** أيضًا» (١صم٢: ٢٦).
- **يوحنا المعمدان:** «وأما الصبي فكان **ينمو** ويتقوّى بالروح» (لو١: ٨٠).
- **الرب يسوع كإنسان:** «وأما يسوع فكان يتقدَّم في الحكمة والقامة والنعمة، عند **الله** و**الناس**» (لو٢: ٥٢).

والملاحظ أن آثار النمو لا تكون أمام الله فقط، ولكن الناس أيضًا يلاحظونها تلقائيًا، وهذا مهم وضروري ليتمجَّد الله بنا.

النمو الحقيقي هو أساس لكل ما يحدث في المؤمن من تغيير إيجابي!

لذا دعنا – عزيزي القارئ – نُلقي بعض الضوء على:

التغيير المستمر في حياة المؤمن:

أوضحنا فيما سبق أن الإنسان الطبيعي لا يستطيع أن يغيِّر نفسه، مهما بذل من مجهودات، والأمر يحتاج إلى عمل إلهي في القلب لكي يقتنع الشخص بالروح القدس بحاجته إلى الرب المُخلِّص، فيقبل شخصه وعمله في القلب، هذا هو **التغيير الأول:** نوال «**الخلاص**».

هنا يبدأ الإنسان في علاقة حيَّة مع الله هي أساس لكل ما يحدث في المؤمن من أمور إيجابية بعد ذلك.

ورغم أن التغيير الإيجابي هو نتيجة للنمو الروحي ويسير بالتوازي معه إلا أن الكتاب يضعنا تحت المسؤولية بالتحريض «تغيَّرُوا عن شكلكم» (رو١٢: ٢)، و«نتغيَّر إلي تلك الصورة عينها (أى صورة المسيح)» (٢كو٣: ١٨).

ولا شك أن أقوى العوامل التي تقود المؤمن للتغيير الصحيح، وفي الإتجاه الصحيح، هي محبته للمسيح، وإدراكه لمركزه في المسيح، كما أن مسببات النمو التي ذُكرت سابقًا هي نفسها التي تؤدي إلى التغيير.

ولكن العوامل الأكثر تأثيرًا من غيرها هي:

١- كلمة الله:

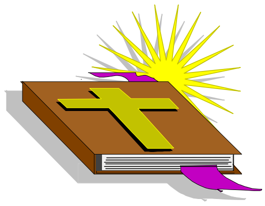

بالإضافة إلى ما ذُكر عن أهمية كلمة الله في النمو الروحي، وما تُحدثه فينا من تنقية وما تمدنا به من تغذية، فهي أيضا مليئة بنماذج لمؤمنين عاشوا التغيير الحقيقى والتقدم المستمر في الحياة المسيحية، فكانوا بحق نماذج يُحتذى بها «انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣:٧)، هؤلاء الأتقياء استطاعوا، رغم مُحاربة العدو لهم، ورغم مشاغل الحياة واضطرابها وارتباكاتها، أن يجدوا الوقت الكافي للنمو في حياة الإيمان، واستطاع المُحيطون بهم أن يلاحظوا التغيير في حياتهم، فخرجت أروع شهادة لله. اسمع الشهادة الرائعة التي نطق بها نبوخذنصَّر وداريوس عن الله بسبب حياة الفتية الثلاثة ودانيآل (دا٣: ٢٩، ٦: ٢٧و٢٦)، ويوسف، الذي في مذلّته كعبد، كان

يجد وقتًا وراحةً نفسيّةً لأمور الله، وكذلك في سجنه، وحتى بعد أن ارتقى عرش مصر، كان كل ما يسيطر عليه هو الله، ومخافة الله، في كل الظروف (تك٣٩: ٩، ٤٠: ٨، ٤١: ١٧، ٤٢: ١٨)، ورأى فوطيفار أن الله كان معه ومهما صنع كان الله يُنجحه بيده. وبولس الذي يشهد عن نفسه أنه كان مُجدِّفًا ومُضطهدًا ومُفتريًا نراه يقول عن نفسه قرب نهاية حياته: «جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي» وقبلها قال: «أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدَّام»، وهكذا كانت حياته حياة النمو المستمر والتغيير الرائع من مجد إلى مجد، ومن قوة إلى قوة. ومن هذه النماذج يتضح أيضًا أن حُججًا مثل ضيق الوقت والظروف الصعبة المُحيطة بنا كأسباب لما نُعانيه من ضعف وتقزم روحي، هي حُجج واهية وضعيفة؟

وما من شخص اقترب إلى الله بصدق وإخلاص وبساطة وتمتع بشخصه في وقت الصلاة والخلوة مع الكتاب إلا وأخذ منه تأثيرًا مباركًا يشعر به جيدًا من حوله. فمن خلال المكتوب والصلاة نتلاقى مع الله حيث نتغذَّى به ونتقوَّى بحضوره الإلهي فنستطيع أن نفهم فكره ومشيئته بل ونشاركه أفكاره ويكون لنا فكره، فتنطبع صورته على حياتنا وهكذا يتصوَّر المسيح فينا. فتتغير حياتنا إلى الأفضل.

٢- الروح القدس:

روح الله، الله الروح القدس، ساكن فينا، وله عمل مستمر في حياتنا. فهو دائمًا يُبكِّتنا على أي أمر أو أي كلمة أو أي فكر لا يليق ويقودنا للإعتراف بأي خطية. ولأنه قدُّوس فهو يعمل فينا لنحيا بالقداسة في التصرفات وفي العلاقات وفي

النظرات وفي كل شيء. وإن لم نُحزنه بفعل الخطية، فإنه يُظهر صفات المسيح فينا، الصفات التي ظهرت في حياة المسيح على الأرض من وداعة وتواضع، وطهارة ونقاوة، وحب وعطاء ونعمة ورفق وحنان. والثمر الذي ينتجه الروح القدس فينا «محبةٌ فرحٌ سلامٌ، طول أناةٍ لُطفٌ صلاحٌ، إيمانٌ وداعةٌ تعفُّفٌ» (غل٥: ٢٢و٢٣)، هي نفس صفات المسيح، لكن الروح القدس يعطي الإمكانية التي تجعل هذه الصفات تظهر في حياتنا.

فوسيلة النصرة على الخطية هي «الروح القدس»

وإن كان المؤمن قد حصل من الله على طبيعة جديدة، مع بقاء الطبيعة القديمة الفاسدة واهتماماتها، وشهواتها «فالجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد»، فوسيلة النصرة على الخطية هي «الروح القدس» الذي به نُميت أعمال الجسد «ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون»، وكما يكتب خادم الرب الأخ/ **يوسف رياض:** ’’مَنْ لا يميت الخطية فستميته الخطية‘‘، والروح القدس لن يُميت أعمال الجسد نيابة عنا، بل نحن الذين يجب علينا أن نفعل ذلك باستخدام امكانيات الروح القدس. فهو سر حياة القداسة المسيحية والنصرة العملية.

وبنعمة الله نلقى الضوء – عزيزي القارئ – على اثنتين من أهم العبارات التي تحرِّض وتتكلَّم عن التغيير.

١- «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢:٢):

«**لا تشاكلوا هذا الدهر**» الدهر يُعني ''العالم كنظام'' وضعه الشيطان للإنسان لكي يُسعده ويستغني به عن الله «فيقولون لله: ابْعُد عنَّا، وبمعرفة طرقك لا نُسرُّ» (أي٢١:١٤)، والأمور السائدة في هذا الدهر هي التعظم والكبرياء واحتلال المكان الأول بأي وسيلة، أما المؤمن فللمسيح، المسيح «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، ليُنقذنا من العالم الحاضر الشِّرير» (غل١: ٤)، والمؤمن ليس له أن يفتخر إلا بـ «صليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم» (غل٦: ١٤)، إنه لا يهتم بالأمور العالية بل ينقاد إلى المتضعين، وعندما نُشاكل هذا الدهر **نتغيَّر** أيضًا ولكن في الإتجاه العكسي، ولنا في ديماس ولوط تحذير شديد!

ومُشاكلة هذا الدهر أمر ينطبق على كل شيء من مظهر خارجي، وتصرفات، وعادات، وتعاملات، وطموحات، والمؤمنون ليسوا من هذا العالم (يو١٧:١٤ و١٦)، والشيطان هو رئيس هذا العالم (يو١٢: ٣١)، وهو أيضًا إله هذا الدهر (٢كو٤: ٤)، ويريد أن يُسخِّر كل مَنْ فيه ليعملوا مشيئته. والرب يسوع المسيح قد حرَّر المؤمن فصار حرًا، ليعيش لله ويتحقق غرضه فيه «لمجدي خلقته» فيُمجِّده في كل شيء. ونحن علينا، ليس فقط أن ننفصل عن العالم، بل أيضًا أن نتغيَّر، «تغيَّروا عن شكلكم» شكل ما قبل الإيمان، «لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم» (١بط١: ١٤).

وتجديد الذهن، هو العمل الروحي ''تدريجيًا'' الذي يلي الولادة الجديدة، إذ يعمل الروح القدس فينا ويُشغل أذهاننا بالمسيح فتتطهَّر أفكارنا وعواطف قلوبنا، بل ويكون لنا فكر المسيح، نفكر كما يفكر،

فتتكرس حياتنا عمليًا لله. ويعمل الروح القدس على تغيير أذهان المؤمنين، فيتغيَّر شكلهم إلى ما يوافق إرادة الله، **وهنا نجد أن الذي يغيِّر هو الروح القدس.**

وكلمة «**تجديد الذهن**» تعني أيضًا نقع الذهن في كلمة الله، وكم نحتاج جميعًا إلى أن نغسل أذهاننا بكلمة الله وبلغة الكمبيوتر فإن ''تحديث الذهن'' تعني أننا نملأ هذا الذهن بأفكار الله فيُطرد كل ما هو قديم ليصير الكل جديدًا في المسيح، وكلمة الله بدورها ستُصلح كل الأفكار التي لا تليق بأولاد الله. فجدير بنا أن نقرأ كلمة الله ونُطبقها على حياتنا، لأنها رسالة شخصية مؤثرة من الله لنا، وصفاته العظيمة، وسواء شعرنا، أم لم نشعر، ينتقل تأثير صفاته علينا، لذلك يُحرِّضنا الكتاب «مُمنطقين أحقاءكم بالحق» (أف٦: ١٤)، وأيضًا «منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين» (١بط١: ١٣).

وهناك أيضًا شيء مهم علينا أن نعيشه لكي نتغيَّر ألا وهو:

٢- **«ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوفٍ ... نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجدٍ إلى مجدٍ، كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨):**

فلكي نتغيَّر علينا أن لا ننشغل بذواتنا أو بالآخرين، أيًا كانوا، بل بمجد الرب يسوع المسيح، المسيح المُرفع والمُمجد، نتأمله، ونتفرسه ونُدقِّق النظر فيه، من خلال ما كُتب عنه ومن خلال الشركة معه، فنتغيَّر شيئًا فشيئًا إلى تلك الصورة المجيدة عينها. نتغيَّر تدريجيًا، من درجة إلى أخرى أعلى، ولا شك في أن القوة اللازمة لذلك هي «الروح القدس». ونحن نستطيع أن نتتبع أيضًا ما للرب يسوع

المسيح من مجد، سواء مجده الأدبي الفائق كابن الانسان أو مجده الشخصي كابن الله، فيما سُجل عنه في الكتاب، الذي سجّل لنا أفعاله وتصرفاته وتعاملاته مع الآخرين ورد فعله في المواقف المختلفة، وأيضًا مجده الذي ظهر به على الجبل المقدَّس وفي الآيات والعجائب الكثيرة التي عملها. **الذي يُغيِّرنا هو الروح القدس نتيجة للنظر المستمر إلى مجد الرب.**

ونرى في استفانوس مثال لذلك. فأثناء رجمه رفع نظره إلى فوق وإذ نظر مجد الله ويسوع، فإنه تكلَّم نفس كلمات الرب يسوع المسيح التي قالها وهو على الصليب: «يا رب، لا تُقم لهم هذه الخطية»، و«أيها الرب يسوع اقبل روحي» (قارن أع٧: ٦٠ مع لو٢٣: ٣٤ وأيضًا أع ٧: ٥٩ مع لو٢٣:٤٦)، لقد تغيَّر إلى صورة المسيح، وهذا لم يكن وليد اللحظة بل نتاج حياة كاملة عاشها استفانوس بتمامها للمسيح ولمجده، فقد كان مشهودًا له، وكان أيضا مملوءًا إيمانًا وقوة، ومملوءًا بالروح القدس والحكمة (أع ٦:٣ و٥ و٨).

وهناك مؤمنون سلكوا طريق النمو الروحي فعاشوا حياة التغيير الإيجابى من مجد إلى مجد حتى أن الرسول بولس والذي كان شعاره «أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدَّام» استطاع أن يقول: «كونوا مُتمثِّلين بي معًا أيها الإخوة»، و «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضًا بالمسيح» (١كو١١:١). ويوحنا المُلَّقب مرقس نراه في أعمال ١٣:

١٣ لا يتحمَّل تبعات ومشاق الخدمة ويُفارق الرسول بولس ومن معه ويرجع إلى أُورلشليم، مما جعل الرسول بولس يرفض رفقته لهم في الخدمة (أع١٥:٣٧ و٣٨)، لكن بعد ذلك – بعد أن نما، وتغيَّر، وأصبح قادرًا بنعمة الله على تحمل مشقة الخدمة – أصبح نافعًا للخدمة «خُذْ مرقس واحضره معك لأنه نافعٌ لي للخدمة» (٢تي٤:١١).

وهناك أيضًا مؤمنون فقدوا طريق النمو فتغيَّرت حياتهم للأسوأ، ومثال ذلك لوط الذي ترك الجو النقي والشركة مع عمه إبراهيم، وذهب إلى سدوم، وهناك استطاع أن يكون من أعيان سدوم، وفي ذات الوقت فقد الشهادة والشرف والكرامة، وأخيرًا خرج منها هربًا لحياته، تاركًا وراءه كل مكاسب سدوم، وحتى زوجته خسرها. يا له من تغيير!! وهناك أيضًا ديماس الذي يكتب عنه الرسول بولس، بحسرة، «ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر» (٢تى٤: ١٠).

والآن ماذا عنك أيها القارئ العزيز؟

هل تريد فعلاً أن تتغيَّر؟ وفي أي اتجاه؟

هل لديك الإرادة والاستعداد لتبعات ذلك؟

إن التغيير ليست كلمات وأمنيات، بل هو طريق طويل وشاق ولكنه لذيذ؟ فهل تبدأ من الآن؟

والتغيير الحقيقى هو تغيير شامل، يُبرهَن **بالسلوك**، لذا هيا بنا لنرى شيئا عن سلوك المؤمن.

***

الفصل الثالث

السلوك

«مَنْ قال: إنه ثابتٌ فيه ينبغي أنه كما
سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا»

(١يو ٢:٦)

السلوك الصحيح

من مقومات الحياة المسيحية الصحيحة. والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يُشجِّع ويُطوِّب السلوك الذي يُمجِّد الله، «طوبى لكل مَنْ يتقي الرب، ويسلك في طرقه» (مز١٢٨: ١)، «الصديق يسلك بكماله. طوبى لبنيه بعده» (أم٢٠: ٧)، «يجب أن تسلكوا وتُرضوا الله» (١تس٤: ١)، «لتسلكوا كما يحق للرب، في كل رضى» (كو١: ١٠). وفي نفس الوقت يحذِّر من السلوك العكسي، أي سلوك الأشرار، والسلوك بالكبرياء والتشامخ.

السلوك المسيحي الصحيح يرتبط بحالة المؤمن الروحيّة، فكلما كان المؤمن ناميًا روحيًا بقدر ما كان سلوكه راقيًا ومتوافقًا مع كلمة الله، ولمجد الله، فالنمو الروحي يُنتج تغييرًا في المؤمن في كل نواحي الحياة وعلى رأسها السلوك. والسلوك المُشين يدمِّر الحياة المسيحية ويُطفئ الشهادة للمسيح، ويأتي التحريض على السلوك في الرسالة إلى أفسس أكثر من أي رسالة أو سفر في الكتاب المقدس، هذه الرسالة التي تحوي أسمى الحقائق المسيحية، لمؤمنين روحيين ناضجين، مُقامين مع المسيح وجالسين معًا في السماويات في المسيح. لماذا؟! لأن السلوك هو البرهان العملي لسمو الحالة الروحية، التي كلما سمت كلما عظُمت المسؤولية، ومن الناحية الأُخرى لنحترس ونتحذَّر «مَنْ يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط» (١كو١٠: ١٢).

نواحي السلوك:

١- **ونسلك كما سلك هو** (الرب) **تابعين خُطواته** (١يو٢:٦؛ ١بط٢:٢١):

نسلك مثله، وذلك بقوة الثبات فيه، **ولا شك أن في هذا النوع من**

السلوك «مثله» هو الأساس لكل أنواع واتجاهات السلوك المتنوعة.

٢- السلوك في المسيح:

«فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه» (كو ٢: ٦)، أي أن المسيح، ليس فقط مُخلِّصًا لنفوسنا، قبلناه بالإيمان، بل هو منهج حياة نتعلَّمه ونسلك بما يتوافق معه، لقد قبلناه بأمجاده المتنوعة، وعلينا أن نتقدم في الحياة المسيحية، ولا نتحول عن الحقائق التي تخص شخصه الكريم، بل ننمو ونتقدم «**نسلك**» فيها.

٣- السلوك كما يحق للرب (كو١: ١٠):

سلوكًا لائقًا بالرب بأن نُرضيه في كل طرقنا، في طريق الطاعة له والشركة معه.

٤- السلوك بالروح وبحسب الروح (غل ٥: ١٦ و٢٥):

السلوك بالروح أي الروح القدس هو قوة السلوك، المُرشد والمُسيطر والمُحرِّك، فننتصر على الجسد ولا نُكمِّل شهوته، ونعيش حياة الشركة مع الله والانشغال بالمسيح. والسلوك **بحسب الروح** يعني مجال السلوك أو المنطقة التي أتحرك فيها، وهي البيئة التي تلائم طبيعة الروح القدس، ولا شك أن الروح القدس يرتب خطوات مسيرنا في أجواء الشركة، والاجتماعات الروحية، وخدمة الرب والمؤمنين، وأجواء القداسة العملية، وبالإجمال نقول إنه يقود خطواتنا في خطوات الرب يسوع مثالنا، وبدون الروح القدس يكون سلوك المؤمن معيبًا وفي عدد ١٨ إذا **انقدتم بروح الله**، تعني أن الروح القدس هو قائد السلوك أيضًا. وقد شبه رجال الله هذا بأن الروح القدس بالنسبة للمؤمن هو مثل القوة المحركة والقائد وخط

السكة الحديد بالنسبة للقطار.

٥- السلوك في الحق (٢يو ٤ ؛ ٣يو ٣):

فالحق ليس مجرد معلومات نعرفها، ونتحدث عنها ونعظ بها، بل يجب أن نسلكه ونعيشه كل يوم، ونفعله (يو٣:٢١)، يجب أن يكون الحق هو دستور وقاعدة السلوك، وكم كان هذا مفرحًا لقلب الرسول «السلوك في الحق».

٦- السلوك في المحبة:

«واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضًا وأسلم نفسه لأجلنا» (أف ٥:٢). لا يكفي أن نتعلَّم عن المحبة ونعظ عنها، بل أن نسلك فيها عمليًا. وكما أننا نُظهر عمل الإيمان، علينا أيضًا أن نُظهر تعب المحبة، في عالم لا يعرف المحبة وعواطفه جامدة «لا نحب بالكلام ولا اللسان، بل بالعمل والحق!» (١يو٣: ١٨)، ومقياس هذه المحبة هو محبة المسيح ذاتها.

٧- السلوك كأولاد نور:

«لأنكم كُنتم قبلاً ظُلمة، وأما الآن فنورٌ في الرب. فاسلكوا كأولاد نورٍ» (أف ٥: ٨)، «لأن الله الذي قال: أن يُشرق نورٌ من ظلمةٍ، هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦)، ولما كان ربنا هنا على الأرض قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم» وأعطانا نحن خاصته هذا الشرف «أنتم نور العالم» وعلينا أن نُضئ في العالم كأنوار، ليُرَى المسيح في حياتنا أمام الآخرين، لكي نجتذبهم إليه، والمؤمن هنا يُشبه الفنار الذي يُرشد النفوس التائهة إلى المسيح، إنه النور الذي يسطع من خلال حياة القداسة التي يحياها

المؤمن ويُرَى المسيح فيها.

٨- السلوك في أعمالٍ صالحة:

«مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحةٍ، قد سبق الله فأعـدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢:١٠). رغم أن الخلاص بالإيمان وحده، لكن الأعمال هي ثمر الإيمان، تُظهره وتُبرهن على صدقه «وأنـا أُريـك بأعمالي إيماني» (يع٢: ١٨)، وكما أنه ليس لنا فضل فـي الإيمـان، هكذا أيضا ليس لنا فضل في الأعمال الصالحة، وهي مُعدَّة لنا من الله لكي نسلك فيها! إنها جزء من قصد الله الصالح في حياتنا، بها يُبرهَن إيماننُا، وبها يتمجَّد الله، وعليها ننال مكافأة!

٩- السلوك في جِدَّة الحياة:

«هكذا نسلك نحن أيضًا في جِدَّة الحيـاة» (رو٦:٤)، لقـد مـات المؤمن للخطية فلا يُمكن أن يعيش فيها، وعليه أن يُميت أعضاءه التي على الأرض؛ أي الشهوات المختلفة للطبيعة الفاسـدة، لكـي يتوافـق سلوكه مع الحياة الجديدة التي نالها في المسيح المُقَام، تلك الحياة التي تُحب البر وتُبغض الإثم.

١٠- السلوك بالتدقيق:

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكمـاء» (أف ٥:١٥)؛ أي انظروا بالتدقيق كيف تسلكون. فلا بد للمؤمن أن يسلك بمنتهى الحرص واليقظة الروحية، في كلامه، وتصرفاته، وأعمالـه وصداقاته، لكي يكون سلوكه لمجد الرب يسوع. وينبغي أن يـدقِّق في كل خطوة قبل أن يخطوها، ليتجنَّب مزالق الطريق التي يضعها الشيطان أمامه، ولكي يتجنَّب أن يكون عثرة للآخرين، لأننا نعـيش

في عالم شرير، وقد وضع في الشِّرير، ورئيسه هو الشيطان، الــذي يجول مُلتمسًا مَنْ يبتلعه، فكُنْ حكيمًا، و«لتنظر عيناك إلى قــدامك، وأجفانك إلى أمامك مستقيمًا. مهِّد سبيل رجلك، فتثبُت كل طرقــك» (أم ٤:٢٥ و٢٦)، «لأنه باطلاً تُنصب الشبكة فــي عينــي كــل ذي جناح» (أم ١:١٧).

١١- السلوك طبقًا لما أدركناه:

«وأما ما قد أدركناه، فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه» (في٣:١٦). يجب أن نسلك حسب النور الذي صار لنا من الله، وعلينا إطاعة مــا نحصل عليه من حق، وأن نكون أُمناء فيما لدينا من نور، ليخطو بنــا الرب خطوة أخرى أعمق في النور، وهكذا نكبر وننمو فــي الــسلوك بحسب الحق!

١٢- السلوك بما يتناسب مع دعوة المؤمن (أف٤:١):

حيث أنها «دعوة عُلْيَا» (في ٣:١٤)، و«دعوة مُقدَّسة» (٢تي١:٩)، و«دعوة سماوية» (عب٣:١)، فيجب أن يكون السلوك متوافقًا ومتناسبًا مع المركز السامي الذي صار للمسيحي، ولا شك أن هذا يتطلب مستوً روحيًّا عاليًا لكي نُدرك هذا فنسلك بحسبه.

١٣- السلوك بحكمة:

«اسلكوا بحكمةٍ من جهة الذين هم من خارجٍ» (كو٤:٥). إن غير المؤمنين يلاحظون سيرتنا ويهتمون بسلوكنا أكثر من كلامنا، فيجــب أن نتصرف تصرفات صحيحة غير ملومة، كي لا نكون عثرةً لأحد، بل بالعكس، نشهد عن الرب بسلوكنا، فيروا المسيح فينا قبل أن نُكلِّمهم عنه فنربحهم له. هكذا كانت الفتاة المَسبية، ودانيآل والفتية الثلاثــة،

وهكذا كان يوسف الذي رأى سيِّده الوثني أن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب يُنجحه بيده. والسلوك بحكمة أيضًا هو أن نقتنص الفرص التي تُتاح لنا لكي نشهد عن الرب.

١٤ – السلوك بالإيمان لا بالعيان:

«لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان» (٢كو٥:٧). جاءت هذه العبارة بالارتباط بالكلام عن استقرار المؤمن في الوطن الأبدي وأن حياته في الجسد ما هي إلا حياة في خيمة فإن تهالكت هذه الخيمة بالمرض أو حتى نُقضت بالموت فهذا لا يُقلقه لأن هناك الإيمان الذي يربط قلبه بالبيت الأبدي.

سلوكيات ينبغي أن يتجنَّبها المؤمن:

وهي سلوكيات سلك فيها المؤمن وربما مارسها أو مارس بعضها قبل الإيمان.

١ – السلوك بدون ترتيب:

«لأننا نسمع أن قومًا بينكم يسلكون بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئًا بل هم فُضوليُّون» (٢تس٣:١١)، الفُضولي هو شخص لا يعمل ويعيش عالة على غيره رغم مقدرته على العمل، فيستخدم الشيطان ما عنده من وقت فراغ في التداخل في أمور الغير والوشاية ونقل الكلام، وكثرة الكلام التي لا تخلو من معصية، وما يتبعها من إدانة للآخرين، إلى غير ذلك من الخطايا، والعقل الفارغ معمل للشيطان، وقيل عن هؤلاء: ''لا يشتغلون بشغلهم بل يتشاغلون بشغل غيرهم''، و''لايشتغلون بل يُشغِلون الآخرين بهم''، وعلينا أيضًا أن نتجنَّب مثل هؤلاء.

٢- السلوك كما يسلك سائر الأُمم (أف ٤:١٧):

أي سلوك طابعه ارتكاب الخطايا والفجور والشهوات.

٣- السلوك بالكبرياء:

«ومَنْ يسلك بالكبرياء فهو قادرٌ على أن يُذلَّهُ» (دا٤: ٣٧)، وخير مثال على ذلك هو ما حدث مع نبوخذنصَّر، وهيرودس الملك (أع١٢:٢٢ و٢٣)، فـ «الله يُقاوم المُستكبرين، وأما المتواضعون فيُعطيهم نعمةً» (١بط ٥:٥).

٤- السلوك مع الخطاة:

«يا ابني، إن تملَّقك الخُطاة فلا ترض ... يا ابني، لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم. لأن أرجلهم تجري إلى الشَّر» (أم ١:١٠ و١٥ و١٦).

٥- السلوك في الدعارة والشهوات (١بط٤: ٣):

أخلاقيات الأُمم الفاسدة نجدها تشمل خطايا النَّجاسة وإشباع الميول الغير مشروعة.

٦- السلوك بحسب البشر:

حيث الحسد والخصام والانشقاق (١كو٣:٣)؛ وهذه من أعمال الجسد (غل ٥:١٩ و٢٠).

٧- السلوك بالاتكال على البر الذاتي:

«القادحين نارًا، المُتنطِّقين بشرارٍ» (إش٥٠:١١)، يتكلون في مسيرهم على نور نارهم، والنتيجة أنهم في الوجع يضطجعون.

بعض بركات السلوك المسيحى:

١- **التمتع بالخير:** «لا يمنع خيرًا عن السالكين بالكمال» (مز ٨٤: ١١).

٢- «الصديق يسلك بكماله. **طوبى** لبنيه بعده» (أم ٢٠: ٧).

٣- «مَنْ يسلك بالاستقامة يسلك **بالأمان** (أي يسير مطمئنًا)» (أم ١٠: ٩).

٤- «هو **مجنٌ** (ترس وحماية) للسالكين بالكمال» (أم ٢: ٧).

٥- «السالك **بحكمة** هو ينجو» (أم ٢٨: ٢٦)؛ أي الشخص الحكيم هو شخص محفوظٌ بالاتكال على الله.

''**السلوك المسيحي**'' هو نتاجٌ لأمرٍ هامٍ، لا يراه أحد، هذا الأمر هو ''**الثبات في الرب**'' لذا دعنا نكرر هذه العبارة مرة أخرى:

«مَنْ قال: إنه ثابتٌ فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا»

(١يو ٢: ٦)

***

الفصل الرابع

الثبات

الثبات

يعني الرسوخ وعدم التزعزع «كونوا راسخين غير مُتزعزعين» (١كو١٥:٥٨). والتعبير المستخدم هنا يعني الاستمرارية أيضًا، أي يجب أن تكون الحالة باستمرار هكذا. والثبات في الرب يعني أيضًا أن يكون للمسيح المكان اللائق به في القلب.

ومن كلمة الله نفهم أن الثبات الروحي له مجالات متعددة نذكر منها:

١- الثبات في الرب:

قال الرب يسوع: «اثبُتوا فيَّ» (يو١٥:٤). ويجب أن نفرق بين الوجود في الرب والثبات فيه، فكل المؤمنين هم في المسيح «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ» (٢كو٥:١٧)، لكن ليس الكل ثابتين في الرب، لذا يأتي هذا التحريض من الرب نفسه: «اثبتوا فيَّ»!

والثبات في الرب:

- ✓ **يعني** الوجود في الشَّركة معه، والسير بقُربه، والمشغولية المستمرة به، ليس فقط في الفرص الروحية والمؤتمرات والاجتماعات الروحية، بل في كل الأوقات، قلوبنا تفكِّر فيه وفي صوالحه وأموره، إنها إقامة في دائرة الشَّركة معه. إنه الاعتماد الكلي عليه ليكون كل شيء لنا، والثقة في كفايته لنُثمر لمجد الآب.
- ✓ **ويعني** قلبًا له شركة مع المسيح، ومسرَّته في أن يثق فيه،

ويتعلَّم منه، بل ويتضمن حياة تحت تأثير حضوره.

- ✓ **ويعني** أننا لا نقدر أن نعيش بالاستقلال عنه، كما أن الغصن لا يقدر أن يعيش بالإنفصال عن الكَرْمَة، بل ويستمد منها عصارة الحياة، هكذا المؤمن أيضًا هو «في المسيح»، ومقامه «في المسيح»، ؛ لذا يتعيَّن عليه في حياته اليومية، أن يظل ملتصقًا الرب وفي شركة وثيقة معه ليستمد منه غذاءه ومعونته وقوَّته.
- ✓ **ويعني** أيضًا أننا لا نقدر أن نفعل شيئًا بدونه كما قال الرب: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو١٥:٥)، وهذا يؤكد أنه مصدر كل نمو وتغيير وثبات وسلوك مستقيم وخدمة ونضوج وثمر وإثمار في حياتنا. الأمر الذي يتعيَّن أن نعترف به باستمرار فلا نتكل على أنفسنا بل عليه.

وكَوْن الرب قال: «اثبُتوا فيَّ»، وكلمة الله تحرِّض كثيرًا على الثبات في الرب، فهذا يؤكد أن هناك مسؤولية على المؤمن من جهة الثبات في الرب. عندما نقضي وقتًا في الصلاة، ودراسة الكلمة وإطاعتها، والشَّركة مع المؤمنين، وعلى أساس وَعْينَا المستمر لوحدتنا معه، وكذا التصاقنا الدائم به، يتسنى لنا أن ندرك ثباتنا فيه وثباته فينا، وإمداده لنا بالقوة الروحية والموارد اللازمة.

٢- الثبات في النعمة:

«كانا يُكلِّمانهم ويُقنعانهم أن يثبُتوا في نعمة الله» (أع١٣:٤٣)، الثبات في النعمة يعني العيشة بشعور دائم بأن ما أنا فيه وما حصلت عليه من امتيازات راجع، لا لتميُّزي عن غيري، ولا لاجتهادي، ولا لإخلاصي، بل الفضل يرجع إلى نعمة الله التي أعطت بغنى لمَنْ لا

يستحق. لذلك يتعيَّن عليَّ أن لا يغيب عني لحظة، فضل نعمة الله في حصولي على **الخلاص** «بالنعمة أنتم مخلَّصون» (أف٢: ٨)، **والتبرير** «مُتبرِّرين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو٣: ٢٤)، **والقوة الروحية** «فتقوَّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع» (٢تي٢:١)، **والتعليم** «لأنه قد ظهرت نعمة الله ... مُعلِّمة إيَّانا أن نُنكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبرِّ والتقوى في العالم الحاضر» (تي٢: ١٢)، **والاستخدام الإلهي،** فقد كان الرسول بولس خادما للإنجيل وكان أيضًا خادمًا للكنيسة (كو١:٢٣ و٢٥)، وخدمته للإنجيل كانت حسب الموهبة التي أنعم الله بها عليه (أف٣: ٧).

إن كل الامتيازات والبركات المسيحية، حتى وصولي إلى السماء سيكون أساسه فضل نعمة الله.

٣- الثبات في الإيمان:

«يعظانهم أن يثبُتوا في الإيمان، وأنه بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أن ندخلَ ملكوت الله» (أع١٤:٢٢). يثبتون في الإيمان المسيحي ولا يكونون محمولين بكل ريح تعليم، لأن بعضًا من الذين آمنوا بالرب كانوا عُرضةً للفشل أو الانحراف عن حقائق الإيمان المسيحي، التي يقاومها الشيطان، مستخدمًا الضلالات من ذوي التعاليم الكاذبة (أع٢٠:٢٩ و٣٠)، وأيضًا لسبب الاضطهاد الواقع عليهم بسبب إيمانهم بالرب (عب١٠: ٣٣). وبسبب الضيق أرسل الرسول بولس تيموثاوس للتسالونيكيين «كي لا يتزعزع أحدٌ في هذه الضيقات» (١تس٣: ٣).

و**الثبات في الإيمان** يعني أيضًا، إيمان الثقة؛ فالثقة في الرب يجب أن لا تتزعزع بسبب الظروف المُعاكسة وضغط الاحتياج والضيقات

الكثيرة، والمؤمن ينبغي أن يثِق في صلاح الرب، ومحبته وحكمته وقدرته، حتى في أحلك المواقف، عالمًا أن الضيق يُنشئ صبرًا. وأن من وراء هذه الظروف تدريبات إلهية «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يُحبون الله» (رو٨: ٢٨). والمؤمن المُرتاب لن ينال شيئًا من الرب، ويُشبِّهُه يعقوب بموج البحر الذي تخبطه الريح فتجعله غير مستقر (يع١:٦).

والمؤمن المُرتاب لن ينال شيئًا من الرب

الإيمان المُرتاب يتحرك كالموج من اليمين إلى الشمال؛ ومن أعلى إلى أسفل، بمعنى، مرة يثق في الرب، والمرة الأخرى يفقد الثقة في الرب. لكن الثبات في الإيمان يعني الثقة في الرب في كل الأحوال، وهذه الثقة لها مجازاة عظيمة (عب١٠: ٣٥). والثبات في الإيمان يكون حافزًا للخدمة والإكثار في عمل الرب (١كو١٥: ٥٨).

٤- ثبات كلمته فينا:

«إن ثبتُّم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يو١٥: ٧)، كلمة الله هي التي تُقوِّم وتقود وتُوجه وتُنقِّي، وثبوت كلامه فينا معناه سُكنى كلامه بغنىً في قلوبنا، فتتوافق أفكارنا مع أفكاره، ونرتفع فوق شهوات الجسد ويكون طلبنا حسب مشيئته، ويُستأسر كل فكر إلى طاعة المسيح (٢كو١٠:٥) فنختبر ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رو١٢: ٢). إن شرط استجابة الصلاة هو ثباتنا في الرب وثبات كلمته فينا.

٥- الثبات في محبة الرب:

«اثبُتوا في محبتي» (يو١٥: ٩)؛ أي محبتي لكم، المحبة الثابتة،

الغير متغيِّرة، الدائمة. والثبات في محبته هو التمتع والشعور بها، والتلذُّذ بها وبأعمالها رغم الضيقات والتجارب، وأعظم برهان على محبته هو موته على الصليب لأجلنا «ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا: أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥:١٣)، ونحن نثبت في محبته بتأملنا المستمر فيها.

٦- الثبات في الفرح:

«كلَّمتكم بهذا لكي يثبُت فرحي فيكم ويُكْمَلَ فرحُكُمْ» (يو١٥:١١)، ما يميِّز المؤمنين هو محبة الرب لهم وفرح الرب فيهم، والفرح هنا هو فرح المسيح الذي فاض نتيجة الشَّركة المستمرة والتمتع بمحبة الآب، وهو فرح في كل الظروف مُرَّها وحُلوها. فرح لا يستمد ينابيعه من مصادر خارجية أرضية وظروف ملائمة مُعرَّضة للتغيير والتبديل، لكنه فرح في الرب نفسه «افرحوا في الرب كل حينٍ، وأقول أيضًا: افرحوا» (في٤: ٤). إنه فرح ليست مُسبِّباتَه الأحداثُ التي تحدث على الأرض، ولا مكاسب زمنية، ولا منبعه قلب الإنسان المعرَّض للحزن، بل فرح بإله السماء، وبما صار لنا بالارتباط به «فإني أبتهج بالرب» (حب٣:١٨)، ونحن نستطيع أن نختبر هذا، إذا سلكنا في طاعة الرب.

٧- الثبات في التجارب:

«طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكَّى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع١: ١٢)، واحتمال التجارب يتأتى من النضوج، والثقة في الرب «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يُحبون الله» (رو٨: ٢٨)، وفي صلاحه

ومحبته الكاملة وحكمته التي لا تخطيء أبدًا، ثم الشكر لأجلها والصبر أثنائها. والثبات هو العزيمة والإصرار وطاقة خاصة لتحمل آلام التجربة.

بركات الثبات في الرب: (هاملتون سميث ''بتصرف'').

١- **ظهور الثمر:** ما لم نثبت في المسيح لن نأتي بثمر، وعندما نثبت فيه نتمتع بعصارة الكرمة ودسمها، ويظهر هذا الدسم في الحياة العملية في صورة ثمر. وكنتيجة لثباتنا فيه يثبت هو فينا، فيظهر بصفاته فينا أمام الآخرين، نأتي بثمر كثير. وثمر الروح المذكور في غلاطية ٥:٢٢ و٢٣ ما هو إلا صفات المسيح الجميلة، ونتاج صفاته الخاصة التي يطبعها في المؤمنين، والثمر ليس هو الخدمة أو مُمارسة الموهبة، مع أهميتها في مكانها الصحيح. فالثمر متاح للجميع صغارًا وكبارًا. وصفات المسيح لا يمكن أن تظهر بمحاولاتنا البسيطة لأن نتشبَّه به، أما إذا سعينا لرفقته ودخولنا تحت تأثيره بالثبات فيه، فإننا نتغيَّر إلى صورته.

٢- **استجابة الصلاة:** «إن ثبتم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يو١٥: ٧)، الثبات في المسيح يعني الوجود في شركة معه والمشغولية به وهذا يقود إلى ثبوت كلامه فينا ... أى سُكنى كلامه بغنىً في القلب، وبالتالي نطلب ما هو بحسب فكره ومشيئته فيكون لنا.

٣- **السلوك في خطوات المسيح:** «مَنْ قال: إنه ثابتٌ فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا» (١يو٢: ٦)، الثبات في

> إن ما يميِّز طريق الرب في هذا العالم، هو اختفاء الإرادة الذاتية تمامًا وهو يعمل إرادة أبيه

المسيح يقودنا إلى السلوك كما سلك ذاك. كيف؟ «لأن المسيح أيضًا لم يُرْضِ نفسه» (رو١٥:٣)، فقد قال عن الآب: «لأني في كل حينٍ أفعل ما يُرضيه» (يو٨: ٢٩)، وفي أفسس ٥: ٢ يُحرِّض الرسول المؤمنين أن يسلكوا في المحبة كما أحبنا أيضًا المسيح. إن ما يميِّز طريق الرب في هذا العالم، هو اختفاء الإرادة الذاتية تمامًا وهو يعمل إرادة أبيه، كذلك خدمة الآخرين بالمحبة. ونحن يمكننا أن نسلك في طريق الكمال بقدر ما نحن ثابتون في المسيح. وإذا أردنا أن نسلك كما سلك، ونكون مثله، ونحمل انطباعاته، وأحاسيسه، فيجب أن نكون في رفقته، نسلك معه ونثبت فيه.

٤- **استبعاد الإرادة الذاتية:** «كل مَنْ يثبت فيه لا يُخطئ» (١يو٣: ٦) في عدد ٤ الخطية هي «التعدِّي»؛ أي عمل الإرادة الذاتية بدون الرجوع إلى الله. إننا بدون المسيح نتعثر في أقل تجربة ونسقط في أعظم الشرور. «الذي يثبت فيَّ ... لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو١٥: ٥).

٥- **السلوك بمجد المسيح الآتى:** إذا ثبتنا في المسيح فسيكون سلوكنا بحسب فكره وسنُحفظ من كل ما يجعلنا نخجل منه في يوم مجيئه (١يو٢: ٢٨).

٦- **ضمان فيض ثباته فينا:** «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو١٥:٤)،

نتيجة ثباتنا في المسيح يثبت هو فينا، أي يظهر فينا بحياته أمام الآخرين.

٧- **اختفاء المشاهد المؤلمة من حياتنا:** إن الثبات في الرب يعني السير بقُربه، ونتيجة لغياب هذه الحقيقة من أمام أعيننا، فإننا نجد مشاهد مؤلمة، مؤسفة ومُذلَّة بين شعب الله، عندما يثور الجسد وتتهيج الخصومة والنزاع بينهم، ويجرِّحُون بعضهم بعضًا بكلمات قاسية ومُعثرة، وربما حاولنا أن نُبرِّر هذه الكلمات، ولكن لو أدركنا أن الرب قريبٌ منَّا حتى وإن كان غير منظور لنا. إنه يسمع ويرى ويعرف كل تصرفاتنا «الغارس الأُذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يُبصر؟ ... المُعلِّم الإنسان معرفةً (ألا يعرف؟)» (مز٩٤: ٩ و١٠). بل وما يدور في أفكارنا «فهمت فكري من بعيدٍ ... وكل طرقي عرفتَ ... لأن ليس كلمة في لساني، إلا وأنت يا رب عرفتها كلها» (مز١٣٩: ٢-٤). فالسير بالشعور أنه يُصغي إلى كلماتنا ويرى كل أعمالنا ويقرأ أفكارنا، يعني أننا نسير تحت حضوره المُبارَك فنثبت فيه، ولا يصدر منا إلا كل ما هو جيد، ونعمل حساب لكل ما يصدر منَّا ولا نعطي فرصة للجسد.

وهناك قولٌ شائعٌ لا يخلو من فائدة: ''**المسيح هو رب هذا البيت، وهو الضيف الغير منظور على المائدة، والمستمع الصامت لكل حديث**''.

فليتنا نسعى للثبات فيه ولا نتجرأ أن نعيش يوما بدونه.

الفصل الخامس

النضوج الروحي

إن النضوج

يعتبر حالة، وليست مرحلة عمرية، أي لا يعتمد على العمر، بمعنى أنك يمكن أن تجد صغيرًا ناضجًا وكبيرًا غير ناضجٍ! ويمكن أن يحدث ذلك أيضًا في مواقف معيَّنة – فمثلاً قارن موقف داود مع زوجة أُوريَّا الحثِّي (٢صم١١: ٢-٥) وموقف يوسف مع امرأة فوطيفار (تك٣٩: ٧-١٢) – حيث الظروف والملابسات والسن والحالة النفسية والمركز الإجتماعي، حيث كانت كلها ضد يوسف، ولكنها في صالح داود، ومع ذلك نجح يوسف نجاحًا باهرًا وسقط داود سقوطًا مُروِّعًا.

تُكلِّمنا كلمة الله عن أمور كثيرة كاملة، مثل:

- **المحبة الكاملة:** «المحبة **الكاملة** تطرح الخوف إلى خارج» (١يو٤:١٨)، وبالقطع هذه محبة الله وليست محبتنا نحن، هذه المحبة التي ظهرت بكمالها فينا، والذي يدرك محبة الله الكاملة يمتلئ قلبه بالسلام.
- **الفرح الكامل:** «**ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم**» (يو١٧:١٣)، الفرح الذي كان للرب يسوع في هذا العالم، رغم أن العالم كان مُضادًا له، فرح قوامه الشركة المستمرة مع الآب، والتمتع بمحبته.
- **الإرادة الكاملة:** «إرادة الله الصالحة المرضية **الكاملة**» (رو١٢:٢)، وذلك بالمقابلة مع الإرادة البشرية المنقوصة.
- **الأعمال الكاملة:** «لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله» (رؤ٣:٢)، وذلك بالمقابلة مع **الأعمال الكاملة**.

✍ **الذهن الكامل:** «وأما في الذهن فكونوا **كاملين** (أي رجـــالاً)» (١كو١٤:٢٠). والكمال حينما يختص بالله وصفاته وأعمالـــه فهو كمال مُطلَق، أما في البشر فهو كمال نسبي ويعني النضج والبلوغ الروحي.

✍ **الإنسان الكامل:** «لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهبًا لكل عمل صالح» كاملاً أي ناضجًا (٢تي٣:١٧). إن كلمــة الله فيهــا الكفاية، وبدون إضافات، لتجعل الإنسان كاملاً، بل وتُحرِّضــنا أن نكون كاملين أي ناضجين «ســر أمــامي وكُــنْ كــاملاً» (تك١٧:١).

وهذا النضج لا يأتي دفعة واحدة، بل يحتاج إلى تــدريب عميــق، ومن الممكن الوصول إليه تدريجيًا بالمثابرة والإجتهــاد. والله مــن جانبه أعد لنا الوسائل التي بها يمكن أن ننضج نضجًا حقيقيًــا يــشمل جوانب الحياة المختلفة.

مَنْ هم الكاملين؟ (أي البالغين في المعرفة المسيحية):

* **لهم حواس مُدرَّبة:** «وأما الطعام القويُّ **فللبالغين**، الذين بــسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مُدرَّبة على التمييز بين الخير والشَّر» (عب ٥:١٤).

* **هم الآباء:** الذين ورد ذكرهم في رسالة يوحنا الأولــى ٢: ١٢-١٤، وهؤلاء عكس الأطفال في المسيح والذين يكتب إليهم «سقيتكم لبنًا لا طعامًا، لأنكم لم تكونــوا بعــد تــستطيعون، بــل الآن أيــضًا لا تستطيعون» (١كو٣:٢).

والبالغون والآباء، هم الذين لهم امتياز معرفة ابن الله «أكتب إليكم

أيها الآباء، لأنكم قد عرفتم الذي من البـدء» (١يـو٢:١٤)، وتوجـد درجات متفاوتة من المعرفة المسيحية والنمو مع أننا جميعًا سـالكون في طريق واحد.

ونستطيع أن نقول إن النضوج والثمر متلازمـان، وهمـا أيـضًا مرتبطان تمامًا بالنمو الروحي، والنضوج يعبِّر عن نفسه بالثمر، وكما أن النضوج لا يحدث دفعة واحدة، كذلك الإثمار.

والنضوج يعبِّر عن نفسه بالثمر، وكما أن النضوج لا يحدث دفعة واحدة، كذلك الإثمار

وبقدر النضوج يكون الإثمار. والثمر يختلف من شخص لآخر كمًا ونوعًا «فيصنع بعضٌ مئةً وآخـر ستين وآخر ثلاثين» (مت١٣:٢٣)، وكـذلك درجـة الإدراك، وطريق النضوج لا نهاية لـه، فبالنـضوج نصل لحالة نتشبَّه فيها بالرب وهذه أسـمى مرحلـة يتطلع إليها المؤمن «فكونوا أنتم كاملين كما أن أبـاكم الذي في السماوات هو كاملٌ» (مت٥: ٤٨)، «لـيس التلميذ أفضل من مُعلِّمه، بل كل مَنْ صار كاملاً يكون مثل مُعلِّمه» (لو٦:٤٠)، «إلى أن ننتهي جميعنا إلـى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف٤:١٣)، ورغـم كثـرة التحريض لأن نكون كاملين إلا أن الكمال المُطلَق هو للـرب وحـده، ولن نستطيع أن نصله إلا عندما نصل للحالة التي فيها نكـون علـى صورة جسد مجده (في٣:٢٠).

والنضوج يشمل حياة الإنسان مكتملة، جـسديًا ونفـسيًا وروحيًـا، **فالنضوج الجسدي** يحدث باكتمال نمو الإنسان جسمانيًا، نموًا طبيعيًـا

تدريجيًا دون خلل، فيستطيع الإنسان أن يقوم بالوظائف والمسؤوليات التي تناسب عمره بدون إعاقة. **ونضوج الإنسان نفسيًا** يكون عندما يسمو الإنسان في عواطفه من جهة مسببات أفراحه أو أحزانه، فالطفل يفرح أو يحزن لأقل سبب، أما الناضج فليس كذلك. والنضج النفسي أيضًا يظهر في الاستقرار الداخلي وعدم الاضطراب لأقل سبب، ويتضح هذا جليًا في مواجهة مواقف الحياة المختلفه. أما **النضوج الروحي** فيأتي من خلال نمو المؤمن في معرفة الرب، لا معرفة معلوماتية، بل معرف اختبارية، عن طريق التأمل في حياته وسيرته وخدمته، عندما كان هنا على الأرض، وفي تعامله مع الآخرين، وفي مواجهة الظروف، وفي تسليمه كل أموره لله واتكاله عليه في أبسط المواقف وأعقدها، ومحبته للكلمة «شريعتك في وسط أحشائي»، وللصلاة «أما أنا فصلاة» والدخول في عمق الشركة معه والتشبُّه به، والنضوج الروحي له تأثيره على حالة الإنسان النفسية.

مجالات النضوج الروحي وسمات الشخص الناضج:

١- **نضج في فهم فكر الله ومشيئته:** تَطلّب هذا الأمر صلاة بلجاجة من أبفراس لأجل إخوة كولوسي «يُسلِّم عليكم أبفراس، الذي هو منكم، عبدٌ للمسيح، مجاهدٌ كل حينٍ لأجلكم بالصلوات، لكي تثبُتوا **كاملين** ومُمتلئين في كل مشيئة الله» (كو ٤: ١٢). فإخوة كولوسي كانوا ناضجين لكن الأمر كان يتطلب الثبات في حالة النضج.

فالشخص الذي له فكر الله لا يحتاج إلى أن يُكثر الأسئلة أمام كل قرار يحتاج أن يتخذه، ولا يتردد من جهة الإقدام على أمر ما، لأن

الذي له فكر الله يعرف مشيئة الله. انظر مثلاً **سرعة** دانيآل في اتخاذ القرار، بعدم التنجُّس، بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه، رغم صعوبة الموقف والظروف المحيطة (دا١: ٨)، وكيف جاوب الفتية الثلاثة **في الحال** الملك نبوخذنصَّر من جهة السجود للتمثال (دا٣: ١٨)، وكيف أخذ يوسف قراره **فورا** بعدم فعل الشَّر (تك٣٩:٩). فكر الله هو أن نعيش لأجل مجده وهو سيتولى الظروف المُعاكسة.

٢- **نُضج في الكلام:** يصف يعقوب الإنسان الناضج بأنه مُسرعًا في الاستماع مُبطئا في التكلُّم، وكلما استمع الشخص كثيرًا إلى كلمة الله وإلى صوت الرب، كلما كان قليل الكلام ويتكلَّم بحساب وبالتالي قليل الخطأ والغضب (يع١:١٩). قال أحدهم: ''ندمت مرارًا كثيرة لأنني تكلَّمت، ولم أندم مرة واحدة لأنني صمت''. «لأننا في أشياء كثيرةٍ نعثر جميعنا. إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجلٌ **كاملٌ** قادر أن يُلْجِم كل الجسد أيضًا» (يع٣:٢). فكلام الشخص الناضج، لا يسبِّب عثرة لأحد، هذا، من الناحية السلبية، أما من الناحية الإيجابية فهو يبني الآخرين، إذ هو مُصلحُ بملح «ليكن كلامكم كل حينٍ بنعمةٍ، مُصلحًا بملحٍ، لتعلموا كيف يجب أن تُجاوبوا كل واحد» (كو٤:٦)، كما أن «الكلام الحسن شهدُ عسلٍ، حلوٌ للنفس وشفاءٌ للعظام» (أم١٦:٢٤).

> قال أحدهم: ''ندمت مرارًا كثيرة لأنني تكلَّمت، ولم أندم مرة واحدة لأنني صمت''

والشخص الناضج يعرف متى يتكلَّم ومتى يصمت! «أما الضابط

شفتيه فعاقلٌ» (أم١٠:١٩). وماذا يقول إذا تكلَّم؟ يتكلَّم الكلام المناسب في التوقيت المناسب، وكما يقولون لكل مقام مقال! «تفاحٌ من ذهبٍ في مصوغٍ من فضةٍ، كلمة مقولةٌ في محلِّها» (أم ٢٥:١١). ولعل مثالنا الأعظم في ذلك هو سيِّدنا الذي قالوا عنه: «لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا» (يو٧:٤٦)، وكان يُعَلِّم كمَنْ له سلطانٌ (مر١:٢٢)، ولم نقرأ عن سيِّدنا قط أنه اعتذر مرة واحدة عن شيءٍ قاله، حاشا!

٣- **نُضج في الذهن:** «أيها الإخوة، لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشَّر، وأما في الأذهان فكونوا كاملين» (اكو١٤:٢٠)، أي كونوا رجالاً، والذهن الكامل هو الذي يستوعب أمور الله ويفهمها ويطبقها في الأمور الحياتية، وهو أيضا الذهن المُمنطق بالحق، ليس استعدادًا للخدمة كمنطقة الحق (أف٦:١٤)، بل المحصور في الأمور السماوية لكي يستوعب كل البركات والامتيازات التي صارت لنا (ابط١:١٣). وهو الشخص الذي يعرف كيف يتعامل مع الناس في نطاق الحق.

٤- **نُضج في الفكر والقناعات والأعمال:** «فليفتكر هذا جميع **الكاملين** منا، وإن افتكرتم شيئًا بخلافه فالله سيُعلن لكم هذا أيضًا» (في٣: ١٥) والرسول يريد هنا أن يضع المسيح المُمجَّد أمام الناضجين، وأن يسعوا في الطريق إلى أن يصلوا إليه في المجد، أما البعض الذين لم يدركوا دعوتهم السماوية تمامًا، فالله سوف يتولى تعليمهم هذا، والرسالة إلى أهل فيلبي تتكلَّم كثيرًا، بصفة خاصة، عن الفكر، وهو أمر هام، لأن كل ما نفكِّر فيه يخرج في صورة تصرفات وسلوكيّات وكلمات، ولو بعد حين.

والإنسان الناضج في الفكر يفكِّر فيما هو لآخرين أيضًا، ويخرج من التمركز حول ذاته، ويكون فيه «هذا الفكر الذي في المسيح يسوع» (في٢: ٥)، ويفتكر «في كل ما هو حق، كل ما هو جليلٌ، كل ما هو عادلٌ، كل ما هو طاهرٌ، كل ما هو مُسرٌّ، كل ما صيته حسنٌ، إن كانت فضيلة وإن مدحٌ، ففي هذه افتكروا» (في٤: ٨)، ويفكِّر في الأمور السماوية.

ومن المفيد أن يلاحظ المؤمن أفكاره، فهي وإن كانت لا تُرَى أمام الناس لكنها تُرَى عند الله الذي يفهم الفكر من بعيد (مز١٣٩:٢). لذا جميل أن تكون طلبة المؤمن «اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف **أفكاري**. وانظر إن كان فيَّ طريقٌ باطلٌ، واهدني طريقًا أبديًا» (مز١٣٩:٢٣ و٢٤).

٥- **النضج في العاطفة:** يتحقق عندما يحب الإنسان حبًا حقيقيًا بعواطف مقدَّسة، وفي الوقت والسن المناسبين، بعد تأنٍ وتفكير، وليس مجرد إنجذاب أو إعجاب واستعطاف أو شهوة كما حدث مع شمشون، الذي بمجرد أن رأى امرأة من بنات الفلسطينيين، حسنت في عينيه وأراد أن يتخذها زوجة (قض١٤: ١-٣)، ويعقوب، الذي بمجرد أن تقابل مع راحيل ''أحبها من أول نظرة'' وانجذب إليها بعاطفة متسرعة!! بغض النظر هل هذه العواطف في محلها أم لا؟ وهل هي بحسب فكر الرب أم لا؟ لكن بعدما نضج يعقوب كوعاء في يدي الفخَّاري، كانت عواطفه تتحرك بحسب فكر الرب، واتضح هذا عندما عندما بارك ابني يوسف، أفرايم ومنسى، رفض توجيه يوسف له، مُميِّزًا أن تصرف يوسف هنا لم يكن بحسب فكر الرب.

٦- **النضج في الإرادة:** كان يعقوب في مراحل عدم النضج يفعل إرادته الذاتية للمكسب. فأخذ البكورية من أخيه بروح انتهازية مستغلاً ظروف إعيائه وجوعه (تك٢٥: ٢٩-٣٤)، وكذلك أخذ البركة بمكر بعد أن خدع أباه (تك٢٧)، وعندما أراد أن يرتبط براحيل أصر على ذلك حتى لو تطلب الأمر دفع فاتورة مضاعفة أى يخدم خاله لابان مدة أربع عشر سنة كاملة (تك٢٩: ٢٧ و٢٨)، فهو لم يتعلَّم أن يضبط رغبته وأن يكبح جماح عاطفته، لكنه عندما نضج روحيًا تعلَّم أن يُخضع إرادته لإرادة الرب وكأن لسان حاله يقول: «يا رب ماذا تريد أن أفعل؟» (أع٩: ٦). وعندما أتى إليه الخبر بأن يوسف حيّ في مصر (تك٤٥: ٢٦)، كنا نتوقعه أن يُسرع في النزول إليه في مصر، لكن نتعجَّب عندما نراه يتوقف عند بئر سبع ويقدم ذبائح وكأنه يريد مصادقة الله على نزوله إلى مصر (تك٤٦: ١)، وقد شعر الله بمخاوف وتساؤلات قلب عبده يعقوب، هل أنزل إلى مصر؟ هل هذا بحسب فكر الرب أم بحسب ميولي الإنسانية؟ هل أنزل بناء على رغبة يوسف أم لأن الرب يشجعني ويُصادق على ذلك؟ فطمأنه الله بالقول: «لا تخف من النزول إلى مصر» (تك٤٦: ٣). فالنضج في الإراداة يتبرهن عندما نُخضع إرادتنا لإرادة الرب، فنتريث في اتخاذ القرار، ونترك الرب يقودنا كما يشاء، واثقين أن إرادته صالحة مرضية كاملة (رو١٢:٢).

والشخص الناضج كما يصفه يعقوب هو الشخص الذي يستمع كثيرًا – كلمة الرب طبعًا– ويتكلَّم قليلاً، والقادر على أن يلجم لسانه،

وأن يقبل الكلمة المغروسة (أي لا يسهل انتزاعها) بوداعة، وأن يعمل بها بدون مُجادلة، يُقدِّرها ويُثمِّنها ويعرف قيمتها وفعلهـا، والـشخص الناضج ينتقي الأعمال التي لا تعطـي لـصاحبها شـهرة ويتممهـا بسرور، فيصل إلى الناس الذين لا يهتم بهم أحد، ولا يُحب أن يـصل إليهم أحد - اليتامى والأرامل - لكي يخدمهم ويخفف عنهم ضيقاتهم (يع١: ١٩-٢٧).

مقومات النُضج:

١- **بكلمة الله:** الشخص الذي يخضع لكلمة الله ولفعلها في الـنفس من تعليم وتوبيخ لتقوم سلوكه وتؤدبه، يكون إنسانًا لله، «**كاملاً** متأهبًا لكل عمل صالح» (٢تي ٣:١٦ و١٧)، وعندما تـسكن فينا كلمة المسيح بغنىً (كو٣:١٦)، ونُمنطـق بهـا الأحقـاء (أف٦:١٤) والذهن (١بط١:١٣)، ، فإنهـا تحكـم دوافعنـا، وتصوغ أذهاننا ونُصبح أشخاصًا كاملين غير أنانيين، عنـدنا المؤهل لأن يستخدمنا الله في عمله (٢تى٣:١٧).

٢- **الاستفادة من المواهب:** أعطى الله المواهب للكنيـسة «لأجـل تكميل القدِّيسين لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح» (أف٤:١٢). وهذا الغرض وضَّحه بولس وهو يكتب لإخوة كولوسي «الذي ننادي به مُنذرين كل إنسانٍ، ومُعلِّمين كل إنسان، بكل حكمـة، لكي نُحضر كل إنسانٍ كاملاً في المسيح يسوع» (كـو١:٢٨) فعلينا أن نقدِّر الرب وما أعطانا إيَّاه من مواهـب. ونـستفيد منها، بدلاً من أن ننتقد ونُصدر أحكامًـا علـى خـدَّام الـرب ومواهبم وخدماتهم، هذا يخدم بالروح وهذا يخدم بالجسد، هـذا

يخدم لأجل الرب وقطيع الرب، وهذا خدمته لا تخلو من استعراض مواهبه الطبيعية وما لديه من معلومات! هذا دارس جيد ومتمكن من الكلمة ولديه معرفة كتابية جيدة، والآخر لا تخلو خدمته من بعض الأخطاء الكتابية ... وغيرها من صور التحليل! وفي وسط هذه التحليلات تضيع الفوائد الحقيقية التي يقصدها الرب لنا من وراء هذه المواهب. كما ينبغي نأخذ كل تحريض يوجهه الرب لنا من خلالهم بجدية للبنيان، ولا ننشغل ونخدع أنفسنا بتطبيق الكلام على الآخرين، دون أن نطبقه على أنفسنا.

٣- **التجارب المتنوعة:** فكما أن الشمس والرياح لازمة للمحاصيل والأشجار لكي تنضج ثمارها (نش٤: ١٦)، كذلك التجارب، وإن كانت غير مُستحَبَّة لدينا، لكنها ضرورية لكي ننضج، ويستلزم الأمر تجارب متنوعة (يع١: ٢-٤، ١بط١: ٦) من يد الله، التنوع لازم لأن ما يحتاجه المؤمن من ألم في وقت معيَّن، يحتاج إلى غيره في وقت آخر، والله الحكيم الفخَّاري الأعظم، يعرف كيف يتعامل مع الآنية بكل ما فيها من ضعفات ونقائص، وكيف يشكلها. وعندما نتجاوب تجاوبًا صحيحًا مع هذه المعاملات، فإن هذا يقودنا إلى النضج «احسبوه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة ... وأما الصبر- (عالمين أن الضيق ينشيء صبرًا -رو٥: ٤)- فليكن له عملٌ تامٌّ، **لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء**» (يع١: ٢- ٤). وبقدر تجاوبنا واستفادتنا من هذه التجارب بقدر ما يتحقق الله قصد الله فينا، وبقدر ما تتحقق مُشابهتنا لصورة ابنه

ونحن هنا على الأرض. وإذا لم تكن استجابتنا وخضوعنا واستفادتنا من هذه التجارب كاملة، فلن نجني من ورائها سوى آلامها، ولن يتحقق غرض الله منها، فيكرِّر الله معنا ذات الدروس وجُرعات الألم مرة ومرات لتحقيق غرضه، لهذا فعندما لا نفهم الغرض من وراء هذه التجارب، فعلينا أن نطلب حكمة من الله لنفهم، وهو سيعطي بسخاء (يع١: ٥)، فنتجاوب مع تعاملاته، ليحقق قصده فينا.

٤- **حمل النير مبكرًا:** «جيدٌ للرجل أن يحمل النِّير في صباهُ» (مرا ٣: ٢٧)، فإن تَحمُّل المسؤوليات مبكرًا لا يحنينا، بل يصنع منا رجالاً قادرين بنعمة الله أن نتحمل مسؤوليات أكبر، فلا يجب أن نهرب من التحديات بل نواجهها بثقة في الله الذي قال لإرميا «لا تَقُلْ إني ولدٌ» (إر١: ٧) وعن يوسف قال: «أرسل أمامهم رجلاً» (مز١٠٥: ١٧)، «كان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحًا» (تك٣٩: ٢). يوسف الذي دخل مدرسة الله، وحمل النِّير في صباه فصار «رجلاً بصيرًا وحكيمًا» (تك٤١: ٣٩) والرب يشجع كل منا بالقول: «لا تخف لأني معك».

***

الفصل السادس

الثمر

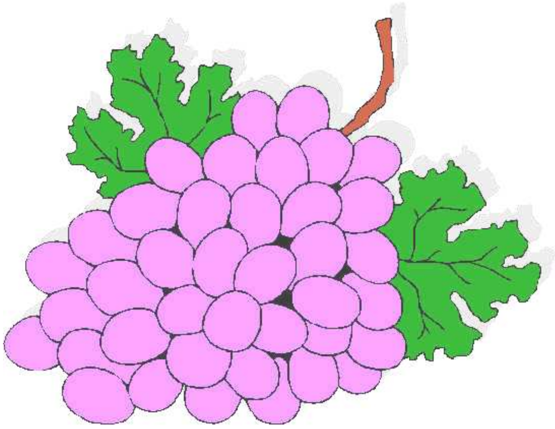

كما سبق وذكرنا

أن المؤمن النامي يشبَّه بالنبات في مراحل نموه المختلفة، وقمة النمو والنضج في النبات تتوَّج بالإثمار، وفرح الرب بإثمارنا ليس أقل فرحًا من الفلاح الذي يُلاحظ وينتظر محصوله «هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين، متأنيًا عليه حتى ينال المطر المُبكِّر والمُتأخِّر» (يع٥: ٧). وهذا يرينا كم يصبر الرب علينا، ويرعانا ويحوطنا بعنايته «كراعٍ يرعى قطيعه، بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات» (إش٤٠: ١١).

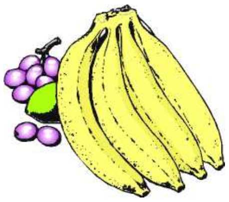

إنه يوفر لنا الظروف الملائمة للنمو والإثمار، وكم يفرح قلبه بنا عندما نُثمر لمجده ويكون هو موضوع اهتمامنا وشغلنا الشاغل حيث «من تعب نفسه يرى ويشبع» (إش٥٣: ١١).

وربما لأجل هذا أنه ما من مؤمن إلا وفي داخله رغبة أن يكون مثمرًا لمجد سيِّده، لهذا يلذ لنا أن نتجوَّل معًا في كلمة الرب لنتعلَّم الكثير عن ماهية الحياة المثمرة؟ ولنتعلَّم أيضًا كيف نأتي بثمر؟

وكما أن النمو الروحي والنضوج الروحي وكل السلوكيات المسيحية لا ترتبط بعمر الشخص ولا جنسه ذكرًا كان أم أنثى، كذلك أيضًا الإثمار والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكنني أذكر فقط الفتاة الصغيرة المسبية التي استطاعت أن تربح رئيس جيش ملك أرام لكي يعبد الله ويقرِّب محرقات وذبائح للرب بدلاً من الآلهة الوثنية (٢مل٥:٢ و٣ و١٧)، والفتية الثلاثة الذين وقفوا في مواجهة أعتى

ملوك عصره «نبوخذنصَّر» وغيَّروا كلمته وقــادوه لأن يُبارِك الله (دا٣: ٢٨)، كذلك الإثمار يكون أيــضًا فــي الشيبة «أيضًا يُثمرون فــي الــشيبة. يكونــون دســامًا وخضرًا، ليُخبروا بأن الرب مستقيمٌ» (مز٩٢: ١٤ و١٥)، «تاج جمال: شيبةٌ تُوجَد في طريق البرِّ» (أم١٦: ٣١). دسامًا أي مملوئين من الدسم الروحي الذي يغذِّي قطيــع الرب، وخضرًا أي سبب إنعاش وبركة للنفوس المُنحنية.

ما هي أهمية الثمر؟

الشيء العجيب أن كل الكائنات المُثمرة الغير عاقلة، سواء كانت حيوانات أو نباتات أو حتى حشرات تُثمر لإطعام الغير

الشيء العجيب أن كل الكائنات المُثمرة الغير عاقلــة، سواء كانت حيوانات أو نباتات أو حتى حشرات (نحــل العسل) تُثمر لإطعام الغير، فالنبــات غــذاء للإنــسان والحيوان، والحيوان ومستخرجاته هــو أيــضًا غــذاء للإنسان. إذًا الثمر هو لإشباع الغير بالدرجة الأولــى. وقد أعطى الله ثمر النبات للإنسان كطعام «لكــم يكــون طعامًا» (تك١: ٢٩)، وهكذا كان قول الرب لآدم: «من جميع شجر الجنَّة تأكل أكلاً»، وهكذا أيــضا المــؤمن، بحياته المثمرة يكون لإشباع الرب ولإطعام قطيع الــرب. وإن كــان الإنسان يُثمر لنفسه فقط، فإن هذا نوع من الأنانية المفرطــة. قــال الرب لبطرس: «ارع غنمي» (يو٢١: ١٦).

وكما أن النبات يعمل ثمرًا كجنسه (تك١: ١١ و١٢)، هكذا الإنسان أيضًا عندما يثمر فإنه يُظهر نوع النبع المتصل به، وهذا ما عبَّر عنه الرب بالقول: «من ثمارهم تعرفونهم» (مت٧: ١٦)، وتكلَّم يعقوب عن

هذا بصفة خاصة «من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة! لا يصلح يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا! ... هل تقدر يا إخوتي تينةٌ أن تصنع زيتونًا، أوكرمة تينًا؟» (يع٣: ١٠ و١٢).

وكما أن النبات يحتاج إلى وقت لكي يُثمر، هكذا أيضًا الحياة الروحية، فلا توجد فيها قفزات، وكما ذكرنا في باب النمو الروحي أن المؤمن في إثماره يشبه نبات القمح حيث في البداية بذارًا، ثم نباتًا، ثم سُنبلاً، ثم قمحًا ملآن في السُّنبل (مر٤: ٢٧ و٢٨)، ولا شك أن هذا يحتاج إلى وقت وصبر «يُثمرون بالصبر» (لو ٨: ١٥)، فعلينا أن لا نتعجَّل الثمر في أنفسنا أو فيمن نخدمهم. وكما أن الثمر في النباتات أنواع، كذلك الثمر في حياة المؤمن، وهذا التنوع له مذاقه وجاذبيته، لهذا فرغبة الرب أن المؤمن يأتي بثمر، بثمر كثير، ويدوم ثمره (يو١٥: ٨ و١٦).

أنواع الثمر في حياة المؤمن:

١- **إظهار صفات المسيح فينا:** الثمر هو عمل حياة المسيح فينا (يو١٥)، فتظهر فينا الصفات الرائعة لهذه الحياة من فرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف (غل٥: ٢٢).

تحكي قصة أن مُرْسَلاً لبلدٍ شيوعيةٍ لم يكن مُتاحًا له أن يتكلَّم جهارًا عن المسيح وإلاَّ تعرَّضت حياته للموت فطلب معونة من الرب لكي يشهد لك بحياته طالما أنه لا يستطيع أن يشهد بالكلام، وعاش وسط الناس يعمل في النجارة، مُظهرًا حياة المسيح، وبعد أن فُتِحت هذه البلاد للبشارة بالإنجيل، وكان هذا المُرْسَل قد رقد في الرب، وبينما

وقف أحد المُبشِّرين يتكلَّم عن صفات المسيح من تواضع ووداعة ومحبة وغيرها، قاطعه أحدهم قائلاً: ''أنا أعرف الشخص الذي أنت تتكلَّم عنه، لقد عاش هنا في بلدتنا سنوات عديدة كان أثناءها يعمل نجارًا قبل أن يموت''، وبالطبع كان يقصد المُبشِّر الذي شهد عن الرب بحياته التي تصوَّرت وتجلَّت فيها حياة المسيح!

٢- «**أثمار تليق بالتوبة**» (مت٣: ٨)**:** العيشة بالقداسة والسلوك المُرضي أمام الله، ورفض عيشة الخطية والعادات القديمة.

٣- **ثمر حياة القداسة:** بعد اختبار المؤمن للعتق، القداسة هي انفصال القلب لله من كل شر، «وأما الآن إذ أُعتقتمْ من الخطية، وصرتم عبيدًا لله، فلكم ثمركم للقداسة، والنهاية حياةٌ أبديةٌ» (رو ٦: ٢٢).

٤- **مُثمرين في كل عمل صالح:** هي الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها (أف٢: ١٠)، ليتمجَّد هو بعملها «يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات» (مت٥: ١٦)، فالناس لا يرون الإيمان الذي في القلب، ولا يُصدِّقون الكلام إلا إذا كان مصحوبًا بالحياة العملية، «وأريد أن تُقرِّر هذه الأمور، لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يُمارسوا أعمالاً حسنة (ثمر الإيمان). فإن هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس» ... وليتعلَّم مَنْ لنا أيضًا أن يُمارسوا أعمالاً حسنة (الشغل الزمني لنكسب القوت اليومي، وأيضًا لنُعطي المُحتاجين) للحاجات الضرورية، حتى لا يكونوا بلا **ثمر**» (تى٣:٨ و١٤). (الشواهد التالية توضح أن أقوالنا وأعمال أيدينا هي ثمار نافعة لنا وللآخرين: مز ١٠٤: ١٣؛ أم ١٢: ١٤، ١٣: ٢، ١٨: ٢٠ و٢١، ٣١: ٣١؛ إش ٣: ١٠). ومصدر

الأعمال الصالحة هو الله وهو العامل في المؤمنين لكي يريــدوا ويعملوا من أجل المسرة (في٢: ١٣).

٥- **العطاء المادي:** هو نوع من الثمر في حياة المؤمن فعن طريقه يُبرهن إيماننا، ونشترك في احتياجات القدِّيسين، وتثبت محبة الله فينا (يع٢: ٢٠؛ رو١٢:١٣؛ ١يــو٣:١٧) وتُــسدَّد احتياجــات المؤمنين المُعوزين ويشبع قلب الرب. يكتب الرســول بــولس لإخوة فيلبي عن الخدمة **المادية:** «قد أزهر أيضًا مرةً اعتناؤكم بي الذي كنتم تعتنونه ... ليس أني أطلب العطية، بــل أطلــب **الثمر** المُتكاثر لحسابكم ... قد امتلأت إذ قبلتُ من أبفــرودتس الأشياء التي من عندكم، نسيم رائحةٍ طيبــةٍ، ذبيحــةً مقبولــةً مرضيةً عند الله» (في٤: ١٠ -١٨).

٦-**ربح النفوس:** عندما جاءت المرأة السامرية مرة أخرى للــرب ومعها نفوس كثيرة من السامرة أشار الرب إلى تلاميذه وقــال: «**ارفعوا** أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيــضَّت للحــصاد»، وكان يقصد بهذا النفوس الغفيرة الصاعدة من المدينة المُزمعــة أن تؤمن بالرب، وأكمل الرب حديثه «والحاصد يأخــذُ أجــرةً ويجمع ثمرًا للحياة الأبدية» (يو ٤: ٣٦)، فإن مَنْ يربح نفوسًــا للمسيح مثل الحاصد له أجرة هنا على الأرض متمثلة في فرحه مع السماء التي تفرح بخاطي واحد يتوب، وله أجرة أيضًا أمام كرسي المسيح، بالإضافة إلى مديح الرب «ادخــل إلــى فــرح سيِّدك». كما أن هذه النفوس ستكون موضع فرح وإكليل افتخار أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه (في٤: ١؛١تس٢: ١٩)، يــا

ليتك تتمتع بهذا النوع من الثمار ولا تمضِ إلى السماء عقيمًا.

٧- **التسبيح:** إن الذبائح التي نقدِّمها هي ذبائح روحية وجميعها لشبع قلب الرب، و«ذبيحة التسبيح هي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣:١٥). فتسبيحاتنا التي نقدمها هي رفع رائحة المسيح الذكية لله، تتصاعد كنسيم رائحة طيبة، حيث يضفي عليها الرب كمالاته الشخصية، وتتصاعد أمام الآب كما لو كان المسيح نفسه مُقدمها «في وسط الكنيسة أُسبِّحك» (عب ٢:١١).

٨- **الذهن المُثمر** (١كو١٤:١٤): الذهن المُثمر للآخرين، عندما يفهمون ما أتكلَّم به. وهذا بالارتباط بالصلاة بلسان والآخرون لا يفهمونني، عندئذ ذهني يكون بلا ثمر لهم.

٩- **الإثمار في الشيبة:** «أيضًا يُثمرون في الشيبة، يكونون دسامًا وخضرًا» (مز ٩٢: ١٤)، هذا ما نراه واضحًا في السنوات الأخيرة من حياة يعقوب، ونراه في حياة موسى وغيرهم. إن الحياة التي تُقضَّى في الشركة مع الرب، والسنوات التي نعبرها وأيادينا في يده ينتج عنها الكثير من السجايا والخصال الحميدة في أشخاصنا ولها من الثمر النافع لقطيع المسيح، لذلك كلَّما تقدَّم المؤمن في **الاختبار** ودخل إلى أعماق الشركة مع الرب يتضح تأثير ذلك في خدمته للرب وسط قديسيه.

كيف نأتي بثمر؟

لكي نأتي بثمر نحتاج إلى:

١- **الثبات في المسيح:** «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمرٍ من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم

أيضًا إن لم تثبُتوا فيَّ» (يو١٥:٤). فعندما نثبت في الرب نستمد منه العصارة التي تُنمينا فنستطيع أن نثمر. يتكلَّم الروح القدس في يوحنا ١٥ عن ثلاثة أنواع من الأغصان: **النوع الأول**، في عدد ٦ وهذا ليس غصنًا حقيقيًا في الكرمة بل هو «كالغصن»، هذا رغم نجاحه في خداع الناس، لكن «الله لا يُشمخ عليه» فسيأتي يوم ينكشف فيه زيفه ويُطرح في النار. **والنوع الثاني**، هو غصن حقيقي لكنه غير مثمر الآن، ربما كانت له ثمار في الماضي، لكن هذا لا يكفي، فالله لا يريدنا أن نعيش على ذكريات الماضي (مز ٤٢: ٤)، بل أن يكون لنا الحياة المثمرة باستمرار، يومًا وراء يوم، أما في حالة عدم الإثمار فإن الرب يحاول أن يعالجنا مستخدما كل وسائل العلاج، وإن لم تفلح يسمح الرب برقاد هذا المؤمن. أما **النوع الثالث**، فهو غصن مُثمر، وفي هذه الحالة يقوم الكرام بتنقيته (تقليمه) لكي يأتي بثمر أكثر. وعملية التنقية تحتاج إلى عين فاحصة ويد خبيرة، إذ أن الأمر يحتاج إلى نزع أفرع يرى الكرام الحكيم أنها غير ضرورية، ويستخدم الكرام ''المقص في عملية التنقية''، بما له من تأثير مؤلم، والمقص متعاكس الطرفين، وهكذا فالله في سلطانه يستخدم حتى الأمور المعاكسة – التي قد لا تروق لنا – في تنقيتنا من الأمور المُعطِّلة. وعندما نثبت في المسيح (الكَرْمَة)، نستمد منه العصارة اللازمة لنمونا وإثمارنا، عندئذ تظهر صفات حياة المسيح فينا بتلقائية، ونكون أكثر شبهًا به.

٢- **اللهج في كلمة الله:** «في ناموسه يلهج نهارًا وليلاً. فيكون

كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تُعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل. وكل ما يصنعه ينجح» (مز ١: ٢ و٣)، هكذا عندما نُعطي الفرصة لكلمة الله أن تصوغ أفكارنا لا بد أن ينتج عن هذا أننا نثمر عمليًا في الحياة (راجع مَثَل الزارع في متى ١٣ ولوقا ٨ الذي يتكلَّم عن كلمة الله كوسيلة للإثمار) وحتى أصحاح الثمر (يو١٥) يكلِّمنا عن أهمية الكلمة في تنقية المؤمن «أنتم أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به».

٣- **الاستناد على الرب:** «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» ونحن نُعلن ضعفنا وعدم مقدرتنا على شيء بأن نلقي همومنا وأنفسنا عليه في الصلاة، عندئذ نستطيع أن نختبر مع الرسول بولس «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوِّيني» (في٤: ١٣). لذلك ما أهم الأوقات التي نقضيها أمام الرب في الصلاة.

٤- **تقبُّل معاملات الرب التأديبية:** إن «كل تأديب في الحاضر لا يُرَى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيرًا فيُعطي الذين يتدرَّبون به ثمر برٍّ للسلام» (عب ١٢:١١)، فالآب يؤدِّبنا للمنفعة لكي «نشترك في قداسته»، أي نصل إلى حالة فيها نتوافق معه في صفاته وهذا يجعلنا مثمرين.

٥- **العيشه في جو السلام:** السلام هو الجو المُلائم للإثمار وكل مؤمن مُخْلِص يريد أن يعيش بحسب فكر الرب عليه أن يبتعد عن المُخاصمات والأمور المُنغِّصة؛ لأن عبد الرب لا يجب أن يُخاصم ولأن «ثمر البرِّ يُزرع في السلام من الذين يفعلون السلام» (يع ٣: ١٨).

٦- **الخضوع للتجارب:** «استيقظي يا ريح الشمال، وتعالي يا ريح الجنوب! هَبِّي على جنَّتي فتقطر أطيابها. ليأتِ حبيبي إلى جنَّته ويأكل ثمره النفيس» (نش ٤:١٦)، ريح الشمال هي الريح العاتية اللافحة، وهي عكس ريح الجنوب الدافئة، ورغم صعوبتها إلا أنها لازمة لكي ينضج الثمر، وهكذا فالمؤمن لكي ينضج ثمره يحتاج إلى ضغطات يد القدير، والمعاملات التي قد تبدو صعبة عليه لكنها نافعة. «ونحن نعلم أن كل الأشياء (ريح الشمال مع ريح الجنوب) **تعمل معًا للخير للذين** يُحبُّون الله» (رو ٨: ٢٨).

٧- **الروح القدس:** عندما لا نُحزن الروح القدس ولا نُطفئه، ونكون في المناخ الذي يلائمه، يستطيع أن يعمل فينا ويقودنا فيكون لنا ثمره الواضح في الحياة الذي هو «محبةٌ فرحٌ سلامٌ، طول أناةٍ لطفٌ صلاحٌ، إيمانٌ وداعةٌ تعففٌ» (غل ٥: ٢٢ و٢٣)، ونلاحظ أنه لم يذكر ثمار الروح، بل «ثمر الروح» بالمفرد، لأن مصدرها واحد على الرغم من تنوعها، ولأنها تعكس حياة واحدة، هي حياة المسيح.

٨- **الاجتهاد روحيًا:** قُدرة الرب الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو ضروري للحياة والتقوى ولنُظهر عمليًا حياة الله فينا، لكن هذا يتطلب «وأنتم باذلون كل اجتهاد- قدموا في إيمانكم فضيلةً (شجاعة في الرجوع المستمر **للرب**)، وفي الفضيلة معرفةً (تمييز واستنارة)، وفي المعرفة تعففًا (ضبط النفس)، وفي التعفف صبرًا (احتمال)، وفي الصبر تقوى (مخافة الرب)، وفي التقوى مودَّة

أخوية (التعبير العملي عن المحبة الأخوية)، وفي المودَّة الأخوية محبةً» (٢بط ١: ٥ – ٧)، عندما تكون فينا هذه الأمور بكثرة نصير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح.

٩- **الارتفاع فوق المُثبطات:** «يوسف غُصن شجرة مثمرةٍ، غصن شجرة مثمرة على عينٍ، أغصانٌ قد ارتفعت فوق حائط» (تك ٤٩: ٢٢). المؤمن في حرصه روحيًا تجده لا يختلق المُعطِّلات بل إن وُجدت يطلب معونة من الرب ليرتفع فوقها ولا يدعها تعطله الإثمار، فالمُعطِّلات كثيرة وتُقابل كل أفراد شعب الرب، ولكن ما يُميِّز مؤمنًا عن مؤمن آخر هو التعامل مع هذه المُعطِّلات والتخلُّص منها دون فشل ليستمر في الإثمار.

***

في الختام نستودع هذه الأفكار وتأثيرها بين يدي الرب ليخلق بها من جديد عطش لحياة النمو في العلاقة والشركة معه فتمر الأيام وتحمل لنا مزيد من النُضج والثمر لشبع قلب ربنا المعبود ولبركة الذين نتعامل معهم أيضًا.

***

عزيزي القارئ ...

احرص على اقتناء هذه الكتيبات في تلك الموضوعات العملية، حيث صدر منها:

- العشور والعطاء – اغفروا – أكرم أباك وأمك – العثرات – إدانة الآخرين – بركات الألم – أنا الرب شافيك – الحب في المراهقة – ماذا افعل لكي أخلص – الشكر– لا تحزنوا – هل تفكر في الهجرة؟ – العمل الجماعي – النمو الروحي – **وتحت الطبع السِّحر والعِرافة، والعلاقات الصحيحة.**

وكذا سلسلة ''**جواب من المكتوب**''، حيث صدر منها:

- أسالك فتعلِّمني – معرفة مشيئة الله – مع تساؤلات الشباب – لكل سؤال جواب.

وكذا سلسلة: **قصص وعبر** (ثلاثة أجزاء)؛ حيث صدر منها الجزء الأول والثاني والثالث، **وتحت الطبع الجزء الرابع.**

وكذلك سلسلة **الطعام في حينه** حيث صدر منها إحدى عشر جزءً، **وتحت الطبع الجزء الثاني عشر بعنوان: القوة الروحية.**